

وهي على مشارف فلسطين ..



## في صميم عقل السلفية الجهادية القاعدة نموذجاً

د. أكرم حجازي

مجموعة مقالات منشورة في صحيفة القدس العربي



سلسلة دراسات تبحث  
في  
التيار الإسلامي  
السلفي الجهادي

- § العقيدة .
- § المنهج .
- § القيادات .
- § الأهداف .
- § الاستراتيجيات .
- § الواقع و المستقبل .
- § دراسات غربية .

## فهرس

٢	المقدمة
<b>المسألة الأولى: الأطر المرجعية للسلفية الجهادية وبعض تطبيقاتها</b>	
٤	§ أولاً: الوهابية بوصفها حركة سلفية
٨	§ ثانياً: المخزون الثوري
١١	§ ثالثاً: تطبيقات مفاهيمية (الوطن الإسلامي نقيضاً للوطن العربي)
<b>المسألة الثانية: التكون التاريخي لتنظيم القاعدة</b>	
١٧	§ أولاً: المستوى النظري الأول من التوصيف (١٩٨٤-١٩٩٢)
٢٣	§ ثانياً: المستوى النظري الثاني من التوصيف
<b>المسألة الثالثة: فلسطين في عقل القاعدة</b>	
٢٧	§ أولاً: استراتيجيا المواجهة عند القاعدة
٢٧	(١) التواجد في مناطق التوتر
٢٩	(٢) توسيع ساحة المواجهة
٣١	§ ثانياً: فلسطين كهدف للقاعدة
٣٢	(١) المحتوى الديني
٣٦	(٢) حقيقة القاعدة في فلسطين
٤١	خاتمة
٤٢	المراجع والإحالات
٥٠	المصادر والمراجع

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ ١:

يعرف المرء أحياناً عن الخوض في بعض المواضيع ذات الطبيعة الحساسة خشية المتاعب التي قد يلاقيها أو لأن المواضيع ذاتها على درجة من الغموض بحيث يغدو التعرض لها نوع من المغامرة العلمية والأخلاقية . يستحضرني في هذا السياق كثرة الحديث عما يسمى بـ " استراتيجيه القاعدة " وسيل التصريحات المتعلقة بوصول أو قرب وصول القاعدة إلى غزة والضفة الغربية ، ولكن ما لفت الانتباه تلك التصريحات النارية التي أدلى بها الرئيس الفلسطيني محمود عباس لصحيفة الحياة اللندنية ( الخميس 2006/3/2 ) مستنداً إلى معلومات استخبارية فلسطينية تشير إلى وجود تنظيم القاعدة في المناطق الفلسطينية لاسيما غزة والضفة الغربية على حدٍ سواء ، ولا شك أن المخاوف الإسرائيلية من تسرب تنظيم القاعدة إلى فلسطين لها ما يبررها باعتباره تنظيمًا يثير فرعاً من نوع ما على هذه الدولة "إسرائيل" التي تحسب لكل صغيرة وكبيرة وتَحَسَّبُ أنها مهتدة في وجودها على الدوام بسبب النشأة الشاذة التي رافقت ظهورها في قلب العالم العربي والإسلامي ، ولكن أن تكون الخشية الفلسطينية على لسان الرئيس ترقى إلى استعمال عبارات مرعبة من نوع "تخريب المنطقة" فهي مسألة تدعو إلى التأمل بقطع النظر عن اتفاقنا مع الرجل أو اختلافنا معه ، فإذا ما صحَّت تحليلاتنا القادمة فإن كلمة "تخريب" ستغدو بائسة لما يمكن أن تتعرض له المنطقة .

ويبدو أن الوقت قد حان لاستطلاع ما يسمى بـ " استراتيجية القاعدة " والتفتيش عن محتوى "التخريب" المزعوم ومداه حتى لا تبقى المسألة - وبلا مسؤولية - حبيسة لتكهنات البعض من أولئك الذين تقدمهم بعض وسائل الإعلام بصفة "باحث أو خبير في الحركات الجهادية" ويظنون عبثاً أنهم كذلك ، أو أولئك الذين يقدمون خدماتهم في الكتابة والبحث عن القاعدة حتى بدوا لكتاب آخرين متطفلين وكأهم في موسم تسوق مهمتهم تنظيم جولات من السياحة الإعلامية للراغبين بها من الإعلام المحلي أو الدولي ، يحدث هذا في وقت يبدو فيه العالمين العربي والإسلامي واقعين في حالة فريدة وغير مسبوقة في التاريخ من انعدام الوزن .

بداية فلسنا بصدد البحث عن استراتيجيا التنظيم في اللغات المهيمنة والدارجة كما هو الحال في الصحافة والإعلام والسياسة ، بل في فلسفة التنظيم بالذات ، باعتباره بالحصلة تنظيمًا يستقي أفكاره ( من ) ويتغذى (على) عقيدة السلف .

١ - الحلقة الأولى - ٢٨/٨/٢٠٠٦ .

ولأن هذه الفلسفة تقع في نطاق عريض يمثل فيه القرآن والسنة والتراث السلفي معينه الذي لا ينضب فسنعمد إلى البحث والتنقيب عما يمكن أن يقربنا وبتيح لنا إمكانية التعرف على ما يجري في الواقع والكشف عن استراتيجيا القاعدة ليس من خلال لغة الخطابات الإعلامية والأيدولوجية أو بعض النشاطات المسلحة للقاعدة بل وفي ضوء المحتوى الديني بالذات والذي نعتقد أنه الأكثر حسماً في توجيه عقل القاعدة .

وعلى الرغم من أن البحث لا يدخر جهداً في طرح الكثير من التساؤلات التي يحاول الإجابة عليها قدر المستطاع ، إلا أن الكيفية التي تحول بها تنظيم القاعدة إلى تنظيم عالمي مقاتل ، ومحاوله التحقق مما إذا كانت نشاطاته قد وصلت إلى فلسطين أو أن المسألة لا تعدو أن تكون محض فزاعة تُمتطى لتمير مخططات التصفية للقضية الفلسطينية ، تقع في القلب من جملة التساؤلات المطروحة والتي ستجري الإجابة عليها عبر ثلاثة مسائل كبرى هي :

” **المسألة الأولى : الأطر المرجعية وبعض تطبيقاتها.**

” **المسألة الثانية : تكون التنظيم .**

” **المسألة الثالثة : فلسطين في عقل القاعدة .**

## المسألة الأولى : الأطر المرجعية للسلفية الجهادية وبعض تطبيقاتها :

تقع البنية الذهنية والإدراكية للقاعدة في نطاق ما بات يعرف ، منذ عقد على الأقل ، بـ "السلفية الجهادية". وهو مصطلح جديد كل الجدة وفريد في المحتوى حين يعبر مضمونه المترامي الأطراف عن إجمالي التيارات الجهادية التي غدت تؤمن بما تسميه الإسلام العالمي المقاتل . أما الجدة في هذا الطرح فتكمن في أن الجهاد لم يعد يعبر عن محتوى أيديولوجي ذو نزعة تنظيمية قطرية محدودة بقدر ما بات يُقدّم على أنه عبادة وفريضة متعينة بقطع النظر عن إمكانية تطبيقها على مجاميع الأمة الإسلامية ، إذ أن مبدأ التطبيق اليوم بالنسبة للتيارات الجهادية وفي الظروف الحالية يقتصر على الفرد دون الجماعة ، لذا فهو يتخذ من الآية الكريمة التالية شعاراً له وبموجبها يعمل : (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا {84} النساء).

أما سؤالنا الرئيس في هذه المسألة فهو : ما هي المصادر المعرفية والمنهجية التي شكلت البنية الإدراكية والذهنية للسلفية الجهادية وغيرت جذريا من المفاهيم التقليدية؟

### أولاً: الوهابية بوصفها حركة سلفية :

لم تحظ أية حركة إسلامية معاصرة بالدرس والتحليل والتنقيب بمثل ما حظيت به الدعوة الوهابية التي ظهرت في الجزيرة العربية منذ ثلاثة قرون (1703-1791) سواء أكانت حركة فقهية دعوية أو حركة سلفية جهادية . إذ أن غزارة الإنتاج المعرفي حول الحركة يزيد بما لا يدع مجالاً للشك من التعقيد والإرهاق لأي باحث يعيد استهدافها بالدرس أو يحاول وضعها تحت مجهر البحث .

ومع ذلك فبقليل من المغامرة وكثير من الحزم ، يمكن اعتبار الوهابية أقدم الحركات الإسلامية المعاصرة في العالمين العربي والإسلامي. ولقد ظلت أسرع الحركات الإسلامية انتشاراً وأشدّها تأثيراً في المجتمعات والدول الإسلامية على السواء ، وما يلفت الانتباه أن ظهورها واشتداد عودها تلازم مع انطلاق العربة الاستعمارية الأوروبية في بدايات القرن التاسع عشر والبدايات الأولى لانحيار السلطنة العثمانية ، الأمر الذي حملها مسؤوليات كبيرة وأجبرها على خوض مواجهات للدفاع عن ذاتها وتزيهها عن أية علاقات رأسمالية مع الغرب الأوروبي (المشرك) أو ضربها بطموحات سياسية تستهدف الدولة العثمانية (المسلمة) وتسلم الخلافة نيابة عنها . والحقيقة أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي مرت بها الجزيرة العربية من شأنها إسقاط هذا التلازم المشين في النشأة والذي ربما يقع في خانة المصادفات ، أو على الأقل هو ليس من اهتمامات البحث .

واقع الأمر أن الجزيرة كانت مقسّمة إلى مناطق نفوذ قبلي متنوّع اقتصادياً وثقافياً وسياسياً وحتى طائفيّاً ويكاد البعض من المطّلعين يجزم أن الجزيرة كانت تمر بمرحلة ثقافية جدُّ متخلّفة وغارقة في دروب الخرافات والأساطير والشرك وحتى الوثنية[1].

لهذا تبدو دعوة محمد بن عبد الوهاب قد جاءت في أوانها وفي الصميم ، وليس أدل على ذلك من اعتبار الفقهاء والعلماء والمؤرخين والمحدثين على اختلاف مشاربهم وآرائهم وحتى توجهاتهم الأيديولوجية والسياسية كتاب "التوحيد" أهم كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الإطلاق[2].

فالدعوة إذن ، جاءت رداً على واقع اجتماعي بات أبعد ما يكون عن العقيدة وأصولها التي اختلطت مناسكها بالبدع إلى حد الشرك والوثنية[3] وليس رداً على أسباب سياسية أو اقتصادية أو حتى اجتماعية .

وفي مثل هذا الأمر الحاسم في النشأة يغدو السؤال عن ماهية الدعوة : هل هي مذهب أم جماعة أم حركة أم تيار؟ مشروعاً مئة بالمائة .

فطبقاً للمصطلحات الراهنة لا ترى أطراف الشيعة والصوفية ومثليهما في الوهابية غير مذهب ضال ، في حين تراه بعض أطراف السنة ، بالإضافة إلى كونها مذهباً ، حركة إسلامية تجديدية ، ومع ذلك فمن حين لآخر يغدو رسم "الوهابية" للبعض مجرد شتيمة أو مذمة يُرمى بها من يعتقد بها أو يدافع عنها .

### والسؤال هو: كيف ينظر أتباع الوهابية وشيوخها وتلامذتها إلى الدعوة ؟

من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن "السلفية" مصطلح ينسحب على الماضي بالكامل ، متحصناً بمشروعية موضوعية تقع في صلب التعبير التاريخي "السلف الصالح" الصيغة الأكثر شيوعاً في المؤلفات والكتب والأشد تداولاً على ألسنة الفقهاء والمحدثين ، وبالتالي فإن أي حديث عنها سيعني قطعاً التوجّه نحو الماضي والتعلم منه والأخذ به ، وهي دعوة مبرّرة لمقاربة الواقع الذي نشأت به السلفية بالواقع الذي كانت عليه قبل نحو 1200 عام على انطلاق الدعوة المحمدية . ولأن تجليات واقع النشأة ذات محتوى ثقافي أبعد ما يكون عن أصول الدين وسيرة السلف الصالح فمن الطبيعي أن تركز الدعوة على قضايا تهم بتحقيق أصول الدين مستعملة ما يشبه أسلوب الطّباق اللغوي أو ما يعرف بالمتضادات كالتأكيد على "التوحيد مقابل اجتناب الشرك" ولإثبات "الولاء و البراء للخالق نقيضاً للعبودية والتزلف للمخلوقين". وبهذا المعنى سنكون أمام الثوابت التالية التي يعتقد بها التيار الجهادي :

• إن الوهابية هي دعوة سلفية خالصة لها "قواعدها وأصولها [4]" ، ومن مهماتها إحياء علوم الدين وتصحيح الانحرافات وتفكيك الأساطير والخرافات ومظاهر الشرك وإعادة الناس إلى الفطرة الدينية السليمة . وبما أنها دعوة دينية فمن المستبعد أن تقدم السلفية نفسها أو تكون انعكاساً لتكوينات اجتماعية أو طائفة دينية أو سياسية ، ولعل سر ديمومتها واتساعها هو فيما تدعو إليه من العودة إلى الفطرة والتمسك بسيرة السلف في فهمه للدين والعمل به وليس بسبب توجيهات سياسية من السلطة ولا بسبب امتلاكها للإمكانات المادية كما يروج البعض وهو ما كانت تفتقده أصلاً حين النشأة ، فضلاً عن أن مؤسسها - وإن كان والده قاضياً - إلا أنه كان من عائلة نجدية صغيرة وفقيرة [5].

• ولأنها سلفية فهذا يعني أنها تفكر في العقيدة من أجل العقيدة ومن أجل المعتقدين بها ، وبالتالي لا يعينها من قريب أو من بعيد الاجتهاد من خارج منظومة العقيدة الإسلامية ولا التعليق على المنظومات الفكرية الأخرى ذات المنشأ غير الإسلامي أو الاستعانة بها ، ولا العقائد الأخرى من وضعية أو وثنية أو تحريفية ، وأزيد من ذلك أن كتابات محمد بن عبد الوهاب خلت من الإشارة إلى أي ارتباط بمصادر فلسفية قديمة كالفلسفة اليونانية أو الأوروبية إجمالاً ، مما يعني أنه لم يطلع عليها أصلاً ولم يكن يفكر بموجب معتقدات الآخرين . وعليه فالسلفية ، بحسب تعبير أحد الباحثين " حركة أصلية بكر ... واجهت آخر هو "المسلم" الذي لم يعد مسلماً تحت وطأة الشرك ، إنها حركة إحياء داخلي بالأساس ... " [6].

• ترفض السلفية رفضاً قاطعاً حصر الدين في المنظومة التاريخية بحيث تغدو الكثير من الآيات القرآنية إن لم يكن القرآن برمته بكل ما يتضمنه من قصص أو أحكام أو عبر أو ... محصوراً بأسباب التزول التاريخية ، مما يعني إخراج العقيدة بكل مضامينها ومقاصدها من حيز الواقع والمستقبل بحيث لن تعود ذات جدوى كبير فيما بعد وهو ما يعني بالمحصلة النهائية طي القرآن وآياته وأحكامه وفقهه وتفسيره وتأويله والاستدلال به أو الاعتماد عليه، وتجريده من الواقعية الأزلية فيغدو حينها كتاباً صالحاً لماضي ليس له كبير أثر على الحاضر والمستقبل.

• تسمح السلفية بممارسة الاجتهاد والتأويل من داخل المنظومة الإسلامية العقيدية ، وبما لا يتجاوز قط المس بأي حكم شرعي ، فالاجتهاد واقع فيما لا نص فيه ، بل أن " الوهابية ترى في الاجتهاد الحقيقي مصدراً رابعاً للشريعة الإسلامية بعد القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع " [7].

• ولأنه لم يسبق أن أفرز أي من المذاهب السنية الأربعة مذهباً خامساً أو سادساً ؛ ولأن الوهابية حنبلية المذهب أصلاً وفصلاً ؛ فمن غير العلمي ولا الموضوعي أن توسم الوهابية بالمذهب الخامس وهي ليست كذلك أبداً إلا عند خصومها لاسيما الشيعة منهم .

. وتأسيساً على ما سبق ؛ فالوهابية ربما يمكن اعتبارها حركة تتمتع بالأصالة بوصفها تعبير بنيوي عن احتياجات ذاتية للإصلاح ، وليست تنظيمياً سياسياً ولا دينياً ، كما أنها ليست تعبيراً عن فرقة دينية وليست مذهباً بأي شكل من الأشكال ، وليس من مهماتها العمل بأي مما سبق [8].

إذن، فلما تكون السلفية الوهابية مجرد دعوة دينية وليس في نشأتها ولا في نيتها أن تكون ممثلة لجماعة بعينها أو تعبيراً عن تطلعات طائفية ، ولا أن يكون في أهدافها تكوين حركة سياسية أو استحداث مذهب جديد فليس من المبالغة أن تنظر إلى نفسها وينظر إليها الآخرون باعتبارها "منهج علمي وعملي شامل ومتكامل تجاه النصوص الشرعية، وليست مجرد موقف علمي" [9] كل ما يتمناه هو تلمس العودة بالسلوك الديني والثقافة الإسلامية إلى عصورها الأولى النقية، وبناء على ذلك يلزم القول أن الاختلاف في هذه القضية أو تلك مما جاءت به الوهابية لا ينفي عنها البتة ميزتها الجوهرية كمنهج في العمل الإسلامي بالدرجة الأساس مثلما هي دعوة .

والآن ، بما أن السلفية ظهرت في الجزيرة العربية ، فمن الصحيح منهجياً أن تظهر التطورات و التبدلات الأيديولوجية الحاسمة داخل الإطار الذي احتضن النشأة . وفي الحقيقة لسنا بصدد البحث في هذه المسألة الجديرة بالفحص ، ولكن لتعرف على الأقل على ما يسميه البعض بمكونات المشهد الديني داخل السعودية من خلال رؤية أحد الناشطين الذي لاحظ وجود خمسة تيارات إسلامية ناشطة [10] في هذه الأيام وهي :

. **التيارات السلفية التقليدية وتشمل :**

- (1) التيار السلفي الرسمي ممثلاً بهيئة كبار العلماء ، وهو تيار له امتدادات علمية و جماهيرية محدودة .
- (2) سلفية تميل للبعد التكفيري و الجهادي ، وتتسم بالحدّة والصرامة مع المخالفين ، وبموقف صارم وعنيف من السلطة السياسية .
- (3) سلفية ذات نزعة إرجائية تتسم بطاعة مطلقة لولي الأمر ، وهي قريبة نسبياً لخط الشيخ "الألباني" ويطلق عليها خصومها مسمّى (الجامية - المدخلية).

. **التيارات السلفية الحركية ويمثلها تيار حركي:**

- (4) يُطلق عليه خصومه مسمّى (السرورية) نسبة إلى مؤسسها ، وهي مدرسة تنظيرية فكرية سياسية دعوية يقوم منهجها على مزيج من الحركية الإخوانية والفكر السلفي الوهابي ، كما أن هناك تيار حركي آخر هم (الإخوان المسلمون) ، وهو تيار لا يُصنّف - إجرائياً - داخل إطار التيار السلفي .



(5) التيار العقلاني أو تيار التنوير الإسلامي :

هذا التيار عبارة عن مجموعة من النخب المهمة بالشأن الثقافي والسياسي، ويقدمه أحد ناشطيه على أنه: "... تيار أجدته ليست سياسية ؛ لكنها ثقافية في المقام الأول ، تقوم على نقد التيار السلفي ، وتفكيك بنيته التقليدية ، ومنظومته في التفكير ، والتعامل لتجاوز التآزمات التي أنتجها في المجتمع ، والتي أسهمت في إعاقة مشروعات النهضة والتطور الحضاري . إذن فهو تيار فكري ثقافي أكثر منه سياسي ؛ لذلك فهو- إلى الآن- غيرٌ معنيٌّ بشكلٍ مباشر بالإصلاح السياسي بقدر عنايته بالإصلاح الثقافي ، لذا لا توجد له مشكلة مع السلطة السياسية". بطبيعة الحال لا يهمننا مدى شعبية هذه الجماعة أو تلك وفق التقسيم المقترح للمشهد الديني أعلاه وليس بالضرورة أن نوافق أو نعترض على التصنيف والتوصيف ، بل أن ما يهمننا هو التيارات النشطة في المجتمع السعودي وبالتحديد ما ورد تحت مسمى السلفية التقليدية والتي تتألف من ثلاثة تيارات أهمها سياسياً وعلى الصعيد المحلي والعالمي هو التيار السلفي الجهادي الذي يقوده حالياً تنظيم القاعدة بزعامة أسامة بن لادن. وهو تيار لا يقر البتة بمسألة التكفير ولا يخرج عن ضوابط التكفير الشرعية ، كما يقول مؤسسه بالذات ، وإن كانت ممارسات بعض فروعها قد أوقعت في الحرج في مواضع عدة وتسببت في كوارث كما حصل في الجزائر على يد الجماعة الإسلامية المسلحة [11].

### ثانياً: المخزون الثوري :

في إطار سعيه لما يعرف بالحوار مع ما يسميه بـ "الإسلام المعتدل" تلقت دوائر القرار الغربي تقريراً من مجموعة الأزمات الدولية تطالبه فيه بالتوقف عن استعمال مفهوم "الإسلام السياسي" الأمريكي المنبث والاستعاضة عنه بمفهوم "الإسلام الحركي" ، انطلاقاً من أن العقيدة هي بالنهاية سياسة ودين ، وهي - وإن كانت - واحدة إلا أن التوجهات الحركية متعددة [12] . وعلى قاعدة الاعتدال والتطرف استعملت المجموعة المفهوم الجديد لتمهيد الطريق أمام القوى الغربية لإيقاع تمايز بين الجماعات الإسلامية يستهدف بالدرجة الأساس عزل التيارات الجهادية والحيلولة دون استنزاف المخزون البشري للجماعات السلمية باتجاه ما يراه الغرب والدول العربية جماعات متطرفة كتنظيم القاعدة .

وبطبيعة الحال لجأت مجموعة الأزمات وغيرها من مراكز الأبحاث الغربية إلى الترويج لجماعات إسلامية تحظى بتأييد واسع من الجمهور وذات أهداف سياسية تتلاءم أفكارها مع بنية المؤسسات الحديثة للدولة ، ومع آليات عملها السلمية للوصول إلى السلطة ، وهي مسألة موضع خلاف مع جماعات الإسلام الجهادي العالمي التي ترفض الدولة الحديثة بكل ما ينتج عنها ويترتب على أدائها باعتبارها مؤسسة مستوردة من الخارج "الكافر". والأهم من

هذا أنها جماعات ذات أهداف دينية تعبدية بالدرجة الأساس ، فهي تنظر إلى الجهاد باعتباره عبادة من أوجب العبادات بعد أن بات فريضة متعينة بسبب ما تعتبره عدواً صائلاً في البلاد الإسلامية ينبغي رده وإخراجه منها ، وهي مسألة تتقدم حتى على أولويات التنظيمات الجهادية العاملة على إسقاط الأنظمة السياسية الحاكمة في بلدانها . وهكذا ففي حين تبدو المعادلة التي يضعها الغرب قائمة على الإسلام الحركي بديلاً عن الإسلام السياسي الذي يضع الجميع في سلة واحدة ، تقدم جماعات التيار الجهادي معادلتها القائمة على الإسلام الجهادي كعبادة مقابل الإسلام الحركي كسياسة .

وينبغي أن تثير مثل هذه المعادلة الكثير من التأمل خاصة فيما يتعلق بالمخزون الفكري للتيار الجهادي والذي لم يعد حكراً على تنظيم بعينه.

**والسؤال: من أين يبدأ هذا المخزون ؟ وأين ينتهي ؟**

لو قمنا بمقارنة بين المخزون الثوري للحركات الوطنية والتحررية العربية على وجه الخصوص سنجد أنه الأفقر على الإطلاق على المستوى العالمي ، فقد بلغ الفقر الثقافي الثوري حد العدم لدرجة أن قيادة كتائب الفدا التي تشكلت سنة 1949 كأول تشكيل مسلح غداة النكبة ، وكانت أولى بواكير حركة القوميين العرب استلهمت أفكارها من جيوسي غاربيالدي القائد الفدائي الايطالي وتعلمت من جيوسي مازيني عضو الجمعية الوطنية السرية الايطالية (كاربوناري) أساليب التنظيم السرية ككلمات السر والأسماء المستعارة [13]!

بل أن الفقر بلغ حداً دراماتيكياً بانشقاق الجبهة الديمقراطية عن الجبهة الشعبية بدعوى تكوين الحزب الثوري الحديدي وعلى قاعدة "إما أن تكون ثورة أو لا تكون" ، وتبرير الجبهة الشعبية مثلاً للحاقها بالماركسية بعد بضعة شهور ببضعة قراءات لبعض المقالات! ولا شك أن هذا الفقر يعود بشكل مبدئي إلى حالة العداة التي استحكمت بين التيارات العلمانية التي تمثلت بالفكر اليساري وتجارب الثورات الآسيوية من جهة والتيارات الإسلامية لاسيما جماعة الإخوان المسلمين الذين سجلوا سبقاً كبيراً في النشأة والعمل السري من جهة أخرى.

أما فكرة القومية العربية فقد مثلت - ولا شك - أولى بواكير المخزون الثوري بما أنها انطلقت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر رداً على السياسة الطورانية التي اتبعتها تركيا ضد ولاياتها العثمانية ، هذا المخزون أخذ في التزايد خلال الحقبة الاستعمارية التي استعرت مع دخول القوى الأوروبية إلى ما أسمي بالوطن العربي فيما بعد وتقسيمه إلى دول مستقلة وفقاً لاتفاقية سايكس- بيكو سنة 1916، ثم تطور مع المرحلة الأكبر من المد الثوري القومي غداة اغتصاب فلسطين سنة 1948، وبلغ ذروته مع الفكر الماركسي بمختلف تلاوينه السياسية والأيدولوجية إثر تبني

الاتحاد السوفياتي لحركات التحرر العالمية في العالم الثالث في أعقاب حرب السويس سنة 1956 وغداة الثورة الطلابية في أوروبا سنة 1968، ومن ثم نجاح معظم الثورات الآسيوية في التحرر من القوى الاستعمارية الكبرى .

أما المخزون الثوري الجهادي فهو غني عن التعريف ومدعش وغزير وغير مقيد لا بالزمان ولا بالمكان ، وفي واقع الأمر هو معين لا ينضب إذا ما تعلق الأمر بالتراث العقدي والتاريخي منذ البعثة النبوية . ولكن إذا ما أخضع هذا المخزون الهائل لمبدأ "فقه الواقع" فهو على أصلته فقير إلى حد التجاهل . والبداية مع هذا الأخير (فقه الواقع) كانت في أغزر تراث وأغنائه وأهمه بالنسبة للتيارات الجهادية وهو التراث الأصيل للدعوة الوهابية ومشايخها وتلامذتها وأتباعها ، والذي شاع في العالم أجمع بسرعة فائقة وكذلك تجارب الجهاز الخاص للإخوان المسلمين في مصر . ثم تطور المخزون بشكل كبير مع النشرات والكتب والإصدارات الضخمة حتى بلغ ذروته ونشوته مع العمل الموسوعي الضخم الذي قدمه العلامة سيد قطب أواخر الستينات من القرن العشرين والذي لم يقدم مثله أحد حتى الآن لاسيما كتاب معالم في الطريق ، وكذلك تراث جماعات الإسلام الجهادي في مصر وبلاد الشام .

وفي أواخر السبعينات من القرن العشرين ظهرت مساهمة قوية جداً تمثلت بكتيب صغير لـ محمد عبد السلام فرج بعنوان " الفريضة الغائبة " والذي انفرد باستحضار الفقه الجهادي من بين ثنايا تراث الشيخ ابن تيمية وتلميذه ابن القيم خاصة ما تعلق بالحديث عن دار الكفر ودار الإسلام وقضايا الحاكمية والردة ومشروعية الجهاد وأحكامه وشروطه ، ومنذ ذلك الحين توالى الإصدارات بكثافة هائلة خلال مراحل الجهاد الأفغاني وحكومة الطالبان خاصة مع إصدارات الشيخ عبد الله عزام في أفغانستان والتي مثلت صميم فقه الواقع ربما للمرة الأولى بعد انهيار الخلافة.

غير أن المشكلة بقيت قائمة بما أن معظم الإصدارات ، بعد الإضافات المذكورة ، ظلت تجتر ما هو كائن دون القدرة على توليد المزيد من الفقه والمعرفة.

ورغم هذا الفقر والضعف في المخزون الثوري لتيارات الجهاد إلا أنها استطاعت أن تفرض نوعاً من المواجهة المحلية مع الأنظمة السياسية العربية ما لبثت أن تطوّرت نسبياً إلى مواجهة عالمية مع القوى الكبرى ، حتى أن (السوري) كواحد من أكبر مؤرخي ونقاد التيار الجهادي العالمي قدم مشروعاً معرفياً يزيد عن 1600 صفحة بعنوان " دعوة المقاومة الإسلامية العالمية " تناول فيه أدق تفاصيل التجربة الجهادية على امتداد أربعين عاماً في مختلف دول العالم الإسلامي العربية وغير العربية ، بدء من الواقع المعاش إلى حصاد التجربة إلى العقيدة القتالية والتربية الجهادية والدستور وبناء التنظيم وانتهاء بالنقد المر للتجربة والحلول . ويخلص أبو مصعب السوري في مشروعه إلى تحديد مصادر الفكر الجهادي العالمي لدى تيار القاعدة مشيراً إلى تشكله من خليط ضم :



## د . أكرم حجازي

وبالنسبة للقاعدة من الطبيعي أن يسترشد المسلم بالعقيدة والأحكام الدينية والتشريعات والسنة النبوية وبتراث السلف الأول من الصحابة والتابعين في بناء استراتيجياته ، ومن المؤكد ( سلفياً ) أن الهجرة إلى أرض الله الواسعة يمكن أن تكون متاحة وواجبة ( في ظروف ما ) إلى حيث تتحرر العقيدة والدين من وصاية السلطان أو يتبناهما ، أو في أي بلد إسلامي سواء كان هذا البلد هو باكستان أو أفغانستان أو الفلبين أو الشيشان أو كشمير أو إندونيسيا أو البوسنة أو ماليزيا أو جنوب أفريقيا أو الجزائر أو اليمن أو العراق أو السعودية أو الشام أو أي بلد آخر .

ففي الإسلام ثمة أمور تستعصي على فهم الآخر ، ففي الغرب حيث الديانة المسيحية يمكن للمرء أن تكون له كنيسة يصلي بها ولا يصلي بغيرها! بل أننا نجد كنائس للسود وأخرى للبيض وكنائس للفقراء وأخرى للأغنياء وكنائس للمواطنين ومثلها للمغتربين ، وطقوس كنيسية لهذا تختلف عن ذلك في حين تفترض وحدة الديانة والمعتقد طقوساً متماثلة يقع الجميع فيها تحت سقف التعاليم الربانية ، وفي إسرائيل أيضاً ثمة عنصرية في شتى مناحي الحياة بما في ذلك الدين ، وأسوأ من ذلك ، فمن غير المسموح أو المألوف مثلاً أن يتعبد يهودي في غير الكنيس الذي يتعبد به عادة فإذا ما حان وقت عبادة فعلى اليهودي إن كان ملتزماً أن يذهب إلى كنيسه فقط ولا يجوز له التعبد في كنيس آخر! أما في الإسلام فمن العبث الاعتقاد بعنصرية دينية ، فإذا حضرت الصلاة جاز للمسلم أن يؤديها في أي مسجد على وجه الأرض وفي أي مكان إذا تعذر وجود مسجد لسبب ما. فالتماثل ووحدة العقيدة في أحكامها ونواهيها وتشريعاتها واحدة في كل زمان ومكان.

إذن ليس ثمة مشكلة في العيش حيث يتواجد الإسلام والمسلمون طالما أن العقيدة واحدة والرب واحد والنبى محمد هو خاتم الأنبياء والهدف واحد وهو إقامة الدولة الإسلامية وإحياء سنة الخلافة في الحكم واستئناف تبليغ رسالة الإسلام إلى أمم الأرض . بهذا المحتوى لمفهوم الوطن والشعب والدين سيكون لزاماً علينا تقبل أن تكون الأمة الإسلامية برمتها هي المورد البشري بحيث يغدو التنظيم معبراً فعلياً عن إطار إسلامي أصيل وليس إطاراً قطرياً أو قومياً أو إقليمياً. فماذا نعني بالإطار الإسلامي؟ وما الفرق بينه وبين الإطار القومي مثلاً؟

إن الفرق بين الإطارين هو حكماً فرق في الاعتقاد وبالأصح هو فرق في الإيمان ، فإذا كان من الممكن أن يتخلى الفرد عن الأيديولوجيا أو يستبدلها في لحظة من الزمن فمن غير الممكن حدوث الأمر نفسه إذا ما تعلق الأمر في العقيدة ، فالإيمان هو قول يصدقه العمل وليس كما تقول المرجئة إيمان يصدقه القول .

وإذا انطلقنا من القومية العربية كمثال سنجد أيديولوجيا حظيت بالكتابات الغزيرة والمساندة من قبل المثقفين والسياسيين على السواء ، ونظمت لها المؤتمرات والندوات والمهرجانات الخطابية وعزفت لها الأناشيد ما عزفت ، بيد أن واقع الأمر يشير مبدئياً إلى:

## د . أكرم حجازي

- دول أعلنت تبنيها الأَطروحة القومية والتزمت فعلياً بأطروحة قطرية فجّة ترقى في كثير من الأحيان إلى العنصرية (= الاستعلائية) إن لم يكن الانغلاق .
- تربية أجيال بحالها على القطرية والاعتزاز بالذات القطرية ، آل بعضها أو أقسام كبيرة من السكان إلى التنكر للعروبة والأصول القومية .
- التشدد في ممارسة المركزية كخيار الدولة العاصمة نجم عنه إيقاع للتمايز و اللامساواة داخل البلد الواحد وعدم التوزيع العادل للثروة.
- ظهور الأَطروحة القومية كأطروحة نخبوية وليس كأطروحة شعبية ، بمعنى أن التفاعل في الأَطروحة القومية ولد ونشأ وترعرع في مستويات ثقافية وسياسية عليا لم يكن للتشكيلات الاجتماعية شأن بها ، وإن تفاعلت معها في بعض الأحيان .
- تحول الأَطروحة القومية إلى مادة للسخرية والحقد والانتقام لدى كافة التشكيلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية جزئياً أو كلياً ، في الداخل القطري والخارج الإقليمي.
- تفكيك الجغرافيا و الديمغرافيا القطرية إلى جزر طائفية ومذهبية وعرقية متصارعة إلى حد التنافر.
- لا شك أن مثل هذه الزراعات الأيديولوجية خلفت نبتاً مشوهاً ومدمراً في كثير من البلدان العربية وأنتجت جزء من أمة عربية عنصرية وصريحة في عدائها للأطروحة القومية ، وجزء آخر مناصراً لها ولكنه في واقع الأمر لا يشعر بها ولا يدري ما هي استحقاقاتها والأهم من كل ذلك أنه فاقد لأي نمط حضاري في معاشتها كونه ولد وعاش ونشأ في بيئة قطرية منغلقة على الأقل وذات حدود ضيقة .
- فالفرد العربي في أية دولة عربية يعتبر عمله (مثلاً) في دولة أخرى غربة قاسية اضطر إلى تحمل مشاقها بسبب الحاجة الاقتصادية ، وفي واقع الأمر نحن بصدد فرد لا يطيق مجرد الانتقال للعمل في بلد مجاور أو حتى في مدينة تبعد عن مسقط رأسه مسافة مائة كم ، فهل من الممكن أن يصدق المرء أن ذات الفرد قادر على بناء وطن عربي كبير ، ناهيك عن العيش فيه ، فيما هو عاجز عن مبارحة مقر سكنه؟!
- ولو قسنا المسألة في دول ذات مساحات شاسعة كتلك التي لم تشهد تقسيماً استعماريّاً مثل الهند أو الصين أو روسيا أو حتى الولايات المتحدة لوجدنا أن أبناءها لا يتدمرون من الانتقال للعمل أو حتى العيش في أنحاء مختلفة من الوطن ، بل أننا نجد موظفين يعملون في مناطق داخل بلادهم تبعد مسافة ساعتين أو ثلاثة عن مقر سكنهم وبعضهم ذو نزعة قارية في اختياره لمقر العمل أو الإقامة حيث تجده يعمل في قارة ويقوم في أخرى ويقضي إجازته في ثالثة وهكذا.

فكيف يمكن الترويج لأطروحة قومية تتوسط بقاع الأرض وتمتد على مساحة تقدر بنحو 14 مليون كيلومتر مربع وسط مئات الملايين من السكان؟ في حين لا يشعر الفرد العربي ولا يستسيغ القول بأن الفرق في الوطن الأميركي بين نيويورك ولوس أنجلوس لا يختلف كثيراً عن الفرق في الوطن العربي بين صنعاء ودمشق لولا أن للضرورة أحكام؟ أما على المستوى التنظيمي للجماعات العلمانية فلو أخذنا التجربة الفلسطينية الأغنى عربياً لوجدنا أن المقاتلين الفلسطينيين على اختلاف انتماءاتهم الأيديولوجية في إطار منظمة التحرير الفلسطينية فضلوا التمثل والتميز برموز الكفاح الأُمِّي مثل الجنرال الفيتنامي جياب وجيفارا وماوتسي تونغ وكاسترو وماركس ولينين على رموزهم الوطنية والإسلامية مثل جعفر الطيار وعبد الله بن رواحة وسعد بن أبي وقاص وطارق بن زياد وموسى بن نصير وقتيبة بن مسلم وصلاح الدين وخالد بن الوليد ومصعب بن عمير وحزمة ونور الدين زنكي وغيرهم ، بل وأكثر من ذلك إذا عرفنا مثلاً ، وحتى هذه اللحظة ، أنهم ليسوا بقادرين على تقبل الأطروحة الإسلامية كرسيد معرفي هائل يمكن أن يساهم على الأقل إن لم يوجه الكفاح ضد إسرائيل العلمانية والتي قامت ودافعت عن نفسها حتى اللحظة بمصطلحات توراثية.

ولما يتعرضون لنقاشات مثلاً عن قضيتهم مع أفراد إسلاميين ينتمون إلى حماس أو الجهاد أو أية جهة إسلامية أخرى (فرداً أو جماعة) ، حتى لو كانت غير منتمية، تجدهم في قمة الشعور بالاستفزاز بحيث يجيبون بعصبية تصل إلى حد الإهانة والسخرية وبما يشبه التكرار والإنكار: أين كان هؤلاء لما كنا نواجه إسرائيل وحدنا؟ ولماذا قاتلوا بأفغانستان؟ أليست فلسطين أقرب لهم؟

ولعلمهم محقين فيما يعتقدون بما أن الأيديولوجيا القطرية التي يحملونها تعودت أن تتسع لأيديولوجيا صديقة قادمة من الصين أو موسكو أو فيتنام أو حتى الولايات المتحدة وتفاخر بها وتدافع عنها وتستमित في سبيلها ولكنها لا تتسع لشريك في الكفاح حتى لو كان من آل البيت ، وأسوأ من ذلك أن البنية الذهنية والإدراكية والمعرفية والتصورية لهم لا يبدو، مهما حاولت من جهد، أن تستجيب في تطلعاتها وطموحاتها، في أحسن الأحوال، لأكثر من محيطها التنظيمي المنغلق [1]، فكيف ستستجيب لمحيط عربي أو إسلامي ناهيك عن العقيدة والدين وما يتطلبانه من عبور نحو العالم. ويستحضرنا في هذا السياق امتناع الدول الصديقة الكبرى عن الاقتراب من المواقف الفلسطينية والعربية ومناصرة قضاياهم لخشيتهم من تقلب مواقفها وعدم اتضاح خياراتها وتوقعها وانحسار طموحاتها في الدولة أو التنظيم أو القبيلة أو السلطة أو الامتياز وكأنها غنيمة العمر ، فعلاً تراهن دولة مثل الصين مثلاً خطأً أحد مسؤوليها في يوم ما عندما صرح بأن بلاده لن تعترف بإسرائيل حتى لو اعترف بها العالم أجمع!؟

ولو عاينا الأطروحة الإسلامية بين شريحة من ذوي التزعة الجهادية العالمية فهل سيبدو الأمر مختلفاً ومثيراً للانتباه؟

لنتابع القبس التالي:

".... عندما رأيت أفغانستان وقع في قلبي أن هذه الأرض هي التي نبحث عنها لإقامة دولة إسلامية ... لأن فيها الجبال , والحدود المفتوحة , ودولاً متعاونة مثل باكستان , وأنا سأمدون إليك يد المساعدة , ثم هي بقعة واسعة, والشعب كله معك... "[2].

هذا القول لعبد الله عزام مؤسس وقائد حركة المجاهدين العرب في أفغانستان إبان الاحتلال السوفياتي. فهناك - في البقعة الواسعة - بنيت قواعد عسكرية للمقاتلين العرب ، ومثلها لآلاف المسلمين من غير العرب ممن شاركوا في الجهاد الأفغاني ، بل أن الكثير منهم ارتحلوا إلى هناك للعيش في أفغانستان وأسّسوا لأسرهم مواطنين جديدة ، والأمر الجدير بالذكر أن معسكراً تأسس في أفغانستان إبان حكم طالبان ضم آلاف المقاتلين العرب وغير العرب ولكن من غير الأفغان ، والأجدر بالملاحظة أنهم تماثلوا فيما بينهم من حيث نمط حياتهم بالكامل من الملابس والمشرب والمأكل والمسكن وحتى الشكل ، وكأن المرء لا يرى فيهم إلا مقاتلي الصدر الأول من الإسلام.

وحدث مثل هذا الأمر بالضبط في الشيشان حيث برز من بينهم قادة ميدانيين لا يقلون بأساً وجبروتاً عن الزرقاوي أو بن لادن مثل القائد العربي الشهير خطاب. كما حدث في ألبانيا والبوسنة والهرسك ، ونسبيا في أوزباكستان وطاجيكستان وتركستان الشرقية وكشمير والفلبين. ولما عاد قسم من هؤلاء إلى مواطنهم الأولى بعد انتهاء الحرب تبين أن الكثير منهم شبه عاجزين عن الاندماج حتى مع أهاليهم ناهيك عن مجتمعاتهم أو حكوماتهم ، فعاد بعضهم إلى أفغانستان أو الشيشان واعتقل الكثير منهم على خلفية ما اشتهروا به من تسميتهم بـ " الأفغان العرب " واندماج بعضهم وتراجع آخرون وانزوى الكثير منهم أيضاً.

أما عن علاقاتهم البينية فلا يحكمها أي بعد قومي أو عرقي أو قطري ، ولو كانوا كذلك لما نجحوا مطلقاً ولطردوا شر طردة. فقد دافع الملا عمر زعيم حركة طالبان عن تنظيم القاعدة وقادته وعناصره دفاعاً مستميتاً وفضل مواجهة الأمريكان في حرب خاسرة على تسليم بن لادن لهم إثر تفجيرات نيويورك. وهاهو بن لادن والظواهري وعناصر القاعدة يعيشون حتى الآن في أفغانستان وربما - كما يقال - على الحدود المشتركة مع باكستان بحماية القبائل المحلية تحت ضغط ومطاردة أعنى القوى الاستخبارية في العالم .

ولمن شاهد الشريط الذي بثه مجلس شورى المجاهدين وظهرت فيه شخصية الزرقاوي بدون اللثام ، من المؤكد أنه لاحظ عبارة ترحيب لطيفة مزوجة بمهية وأدب جم حين تقدم إليه أحد القادة الميدانيين من العراقيين بينما هو جالس يقول له: " حيا الله شيخنا الفاضل في أرض الأنبار ، أرض الجهاد والرباط ... شيخنا الكريم . " فأية أيديولوجيا تتيح لرجل في بلده أن يؤمّر عليه قائداً غريباً عن دياره لمقاتلة أعدائه ، ويخاطبه بلفظة " شيخنا " وليس " سيدي " مثلاً ؟ والمثل يقول: " أهل مكة أدرى بشعابها "؟ وما الذي يسمح لغريب أن يتسبّد أهل الدار؟



نفس الأمر ينطبق على القائد العربي خطاب في الشيشان والذي خاض حرب عصابات ومعارك أسطورية ضد الجيش الروسي لم تعادها إلا معارك أعظم رموز الحرب الشيشانية القائد شامل باسايف. أما القائد الأفغاني المميز قلب الدين حكمتيار فمن المعروف أنه كان أشدّ خصوم طالبان إلا أنه لم يترلق لحظة واحدة في التعامل مع الأمريكيان بل أمر أتباعه بالقتال تحت إمرة طالبان عشية الغزو الأميركي لبلاده ، ولكن المثير حقاً أن يخرج هذا الزعيم الأفغاني ليعلن على الملأ وباللغة العربية الفصحى رغبته بالانضمام إلى تنظيم القاعدة والقتال تحت إمرة بن لادن والظواهري ليس بصيغة الصديق أو الحليف بل بصيغة المهاجرين والأنصار ، فنراه يقول:

" ... نحن نشكر جميع المجاهدين العرب بالأخص الشيخ أسامة بن لادن والدكتور أيمن الظواهري وغيرهما من القادة الذين ساعدونا في جهادنا ضد الروس ... وقدموا تضحيات باهظة لن ننساها لهم نحن والأجيال القادمة على هذا المعروف الكبير ، ونسأل الله عز وجل أن يوفقنا ويساعدنا في أداء واجبنا تجاههم ويمكننا من رد الجميل على ما قدموه لنا من الدعم والتضحيات ونتمنى أن نشاركهم في معركة يقودونها هم ، رايتها بأيديهم ، ونحن واقفين بجانبهم كأمنصار لهم "[3].

أما أبو يحيى الليبي فقد فر من سجن باغرام الأمريكي في كابول مع ثلاثة من رفاقه بتاريخ 2005/7/10م وخرج على الملأ يتحدى في قلب أفغانستان ويتوعد بجولات قتال مع الأمريكيان قادمة لا محالة ، وكأنه أفغاني المولد والنشأة ويعرف البلاد والعباد بحيث تؤمن له حماية معقولة في وقت تقوم طائرات الاستطلاع وقصاصي الأثر وأجهزة التتبع بملاحقة خطواته لحظة بلحظة .

ببساطة ، فإن مثل هؤلاء الناس لما يتحدثون بمنطق الدولة الإسلامية أو الإمارة وأمير المؤمنين أو مقاتلة قوى الكفر والظلم والبغي أو المهاجرين والأنصار فهم يتحدثون في واقع الأمر بمنطق الأمة الإسلامية بديلاً عن الشعب السعودي أو الأردني أو المصري أو الليبي... إلخ ومنطق الوطن الإسلامي بديلاً عن الوطن العربي الذي لم يكن كائناً أصلاً في العصور الإسلامية ، وبالتالي فمرجعيتهم السلفية والتاريخية تؤهلهم إلى العيش والتنقل في سائر ما يعتقدون أنه أمة إسلامية ووطن إسلامي غير آهين ولا متدمرين من المسافات واختلاف الملل والنحل طالما أن هذا العالم الإسلامي من المفترض أنه يتسع لكل المسلمين بقطع النظر عن مقار ولادتهم أو سكانهم.

ومما هو جدير بالذكر والتفكير والتوقف عنده ، وهو ما لا يريد أن يسمعه أحد أو يتقبله كحقيقة ساطعة وبديهية ، أن المنطق الإسلامي يأبى في الصميم التمايز على أسس عرقية أو اجتماعية أو مادية أو قرابية كبديل عن معايير التقوى والورع وطاعة الله ورسوله وأولي الأمر[4]. ولو جرى التفكير بهذه الحقيقة لاختلفت التحليلات والتفسيرات بمقدار 180 درجة عما هو مألوف . ونذكر بأن هذه الخصيصة هي التي جعلت جميع

التيارات الجهادية تشيد صروح تربيتها لعناصرها على أساس عقيدة "الولاء و البراء لله" التي أفردت لها حيزا كبيرا جدا من أدبياتها لتكون واحدة من أهم ثلاث قضايا مركزية قامت عليها هذه التيارات [5].

هذه العقلية المحصنة بمرجعية سلفية منهجية صارمة والتي ليس لديها من معايير للقياس والمقاربة إلا القرآن والسنة وأهل السلف والإجماع ستؤدي حتماً إلى ولادة مقاتل إسلامي عالمي غير مألوف في ثنايا العقود اللاحقة على انهيار الخلافة وتقسيم الوطن العربي ، مقاتل عنيد يمكن أن يتوجه - دون تردد - إلى حيث تأتيه توجيهات الأمير، مقاتل "يعتقد أن الله معه" في كل مكان وزمان "وأن الله أكبر" [6] من كل العقبات والطغاة، هكذا هو في نيويورك وواشنطن ومدريد ولندن واندونيسيا واستانبول وكينيا والرباط واليمن والسعودية والكويت وتونس وعمّان وطابا وشرم الشيخ وغيرها. فهل يمكن لأية عمليات تأهيل أن تنجح في ثنيه عما يعتقد بسهولة ؟

## المسألة الثانية: التكون التاريخي لتنظيم القاعدة

يمكن لأي ثوري أو مجاهد أو معتقد به أو مناصر له أن يرى في "القاعدة" كت تنظيم مسلح واحداً من أشد التعبيرات غموضاً في العصر الراهن. وحتى الباحث سيجد نفسه - للوهلة الأولى - إزاء أطروحة غير محددة المعالم إطلاقاً ولا من أية زاوية. فلسنا إزاء حزب سياسي له جناح عسكري ، ولا تنظيم سري أو علني يمكن الوقوف على الهياكل التنظيمية المكونة له من قيادات وأفراد ومؤسسات وجغرافيا للعمل ، ولا أيديولوجيا معينة ولا جهاز مالي ولا أهداف محددة مرحلياً أو استراتيجياً ، ولا منظومات اتصال معروفة جزئياً أو كلياً. حتى أبو مصعب السوري توقف عن التعرض لتجربة تنظيم القاعدة بعد صفحة واحدة من البداية ليعتذر في الثانية معللاً ذلك بخطورة ما سيكتبه بسبب وجود معتقلين من التنظيم بين أيدي المخابرات العالمية والعربية [7]. باختصار نحن إزاء تنظيم هلامي ولكنه حقيقي ويستوجب محاولة الفهم. لذا من الأهمية بمكان الإشارة إلى وجود نظريتين تتوجهان نحو تقديم توصيف للقاعدة. والمقصود:

1- نظرية تعتقد بوجود تنظيم عالمي حيوي للقاعدة يمتد على مساحة الكرة الأرضية ، ويضم عشرات الخلايا العاملة في شتى المجالات الأمنية والأيدولوجية والاقتصادية والإعلامية والتكنولوجية ، وتتلقى توجيهات مباشرة أو غير مباشرة عبر شبكات اتصال ميدانية أو إلكترونية ، وبنفس الوقت تتمتع بمبدأ اللامركزية في القيادة مما يتيح لها التحرك دون العودة إلى القيادات العليا في التنظيم .

وهذه النظرية تدافع عنها الأجهزة الأمنية العالمية. وعلى أساسها تبني الولايات المتحدة الأمريكية استراتيجياتها وتخوض حرباً معلنة باسم مكافحة الإرهاب.

٢- نظرية أخرى تعتقد بأن القاعدة باتت مجرد فكرة وقع تبنيها من المجموعات والأفراد على السواء ، وتنشط بمبادرات ذاتية مشكلة في بعض الأحيان ما يسمى بالخلايا النائمة .

وتدافع شرائح كبيرة من المثقفين والباحثين والمحللين وحتى المؤسسات الأمنية عن هذا الاعتقاد.

وفي حقيقة الأمر تبدو النظريتان على قدر كبير من الصحة. فالقاعدة لم تكن تنظيمًا بالأساس منذ احتلال أفغانستان سنة 1978 وحتى ما بعد سقوط كابول 1992 في أيدي المجاهدين . فماذا كانت إذن؟ نطرح السؤال في الوقت الذي يعيب فيه أبو مصعب السوري على الجماعات المجاهدة فشلها في توصيف نفسها وتحويلها إلى تيارات جماهيرية مما كان سبباً يضاف إلى سلسلة الأسباب التي أدت إلى إخفاقها في تحقيق أهدافها.

لذا نراه يتساءل عن: "الجماعة المجاهدة: ما هي؟ وما هو تعريفها؟ ما طبيعة علاقتها مع ما حولها من الجماعات؟ وما مشروعيتها تعدد تلك الجماعات المجاهدة وغير المجاهدة؟ وما نسبة صلاحياتها وفحواها إلى جماعة المسلمين العامة؟ وما مسوغات و شرعية وجودها؟".

ولا شك أن التساؤلات المطروحة تمثل - في الوقت ذاته - شروط أولية للنجاح بنفس القدر الذي تؤشر فيه على الاختلالات البنيوية والمنهجية في عمل وتفكير التيارات الجهادية ، ومن هذا المنطلق كانت موضع بحث مستفيض احتواها مشروع " دعوة المقاومة الإسلامية العالمية" وسلسلة الأبحاث التي أنجزها أبو مصعب السوري، ولا شك أيضاً أن بعضها يمثل مفاتيح للاسترشاد بها للتعرف على تنظيم القاعدة .

### أولاً: المستوى النظري الأول من التوصيف (١٩٨٤ - ١٩٩٢) :

تكمن المسألة هنا في النشأة لاسيما خلال المرحلة الأولى من الجهاد الأفغاني حين انتقل الشيخ عبد الله عزام وأسامة بن لادن إلى أفغانستان للمشاركة في الجهاد الأفغاني ضد الروس . فبالترامن مع ما عرف بـ "بيت الأنصار" الذي افتتحه بن لادن في مدينة بيشاور الباكستانية سنة 1984 لاستقبال المتطوعين العرب مؤقتاً أسس عبد الله عزام مكتب خدمات المجاهدين العرب . وتكاملت نشاطات الرجلين بحيث يؤدي المكتب المهمة الإعلامية وجمع التبرعات وحث المسلمين وخاصة العرب على الجهاد بالنفس والمال فيما يؤدي البيت المهمة العملية في استقبال وتوجيه الراغبين في الجهاد أو الاطلاع على أوضاع الأفغان .

وظل بن لادن يتردد على أفغانستان مقدما دعمه المالي للمتطوعين العرب إلى أن تفرغ للعمل الجهادي الميداني في أفغانستان ابتداء من سنة 1986.

وبالتعاون مع بعض الكوادر من تنظيم الجهاد المصري من أوائل من قدم إلى أفغانستان؛ افتتح بن لادن مركزاً عسكرياً متقدماً على أحد المعابر الهامة لإمداد المجاهدين في منطقة (جاجي) الجبلية الوعرة التي تنتشر فيها الغابات. وخلال هذه الفترة وصل عدد المجاهدين الذين التحقوا بساحات القتال في أفغانستان تدريجياً إلى ما يزيد عن أربعين ألفاً من مختلف الجنسيات موزعين على النحو التالي:

الجدول (١) : الأعداد التقريبية للمتطوعين في الجهاد الأفغاني حتى سقوط كابول سنة 1991[8]

البلد الأصلي	السعودية	اليمن	مصر	الجزائر	المغرب (مراكش)
العدد التقريبي	٢٠.٠٠٠	٥.٠٠٠	٤.٠٠٠	٢.٠٠٠	عدة مئات
البلد الأصلي	ليبيا	فلسطين	إمارات الخليج	تونس سوريا الصومال موريتانيا العراق لبنان	
العدد التقريبي	مئات	مئات	مئات	مئات وعشرات	
العدد الإجمالي التقريبي			أكثر من ٤٠.٠٠٠ متطوع		

هذا بالإضافة لعشرات آلاف المجاهدين الباكستانيين الذين حضروا وشاركوا من خلال تجمعات ومعسكرات مستقلة أو مع الأفغان مباشرة.

وهكذا فمع توسع فكرة الجهاد وزيادة الأعباء واحتدام المعارك ، وابتداء من سنة 1988 برزت الحاجة إلى ضرورة وجود سجلات توثق لحالات الوصول والشهداء والجرحى بعد أن احتدمت المعارك وتكاثرت استفسارات الأهالي عن أبنائهم خاصة أولئك القادمين من السعودية واليمن وما سببته من حرج لعدم توفر الإجابات. ويشير أحد المعنيين في قضايا الجهاد الأفغاني إلى أصول التسمية بالقول :

" أحس أسامة أن نقص هذه المعلومات أمر مخجل فضلاً عن أنه خطأ إداري مبدئي . من هنا قرر أسامة ترتيب سجلات للأخوة المجاهدين العرب . ووسّعت فكرة السجلات لتشمل تفاصيل كاملة عن كل من وصل أفغانستان بترتيب من مجموعة الشيخ . ورتبت السجلات بحيث تتضمن تاريخ وصول الشخص والتحاقه ببيت الأنصار ثم تفاصيل التحاقه بمعسكرات التدريب ومن ثم التحاقه بالجبهة . وأصبحت السجلات مثل الإدارة المستقلة، وكان لا بد من إطلاق اسم عليها لتعريفها داخلياً ، وهنا اتفق أسامة مع معاونيه أن يسمونها سجل القاعدة ، على أساس أن القاعدة تتضمن كل التركيبة المؤلفة من بيت الأنصار ومعسكرات التدريب و الجبهات "[9].

هكذا ظهرت التسمية كما يروي أحد المقربين أو المطلعين على ترتيبات المجاهدين في أفغانستان آنذاك. إلى هنا تبدو القاعدة إطاراً تنسيقياً خديماً يتوفر على بعض الإدارة ذات المهام المحددة . وستظل كذلك دون أن تظهر كتنظيم مستقل على الإطلاق إلى أن تنتهي المرحلة الأولى من الجهاد الأفغاني سنة 1992 بهزيمة الجيش الأحمر وانسحابه من أفغانستان ، ويتمخض عن انتصار المجاهدين في حينه :

- عودة الأفغان العرب وغير العرب إلى بلدانهم لاسيما أولئك الذين لم يكن لهم مشاكل أمنية تذكر مع حكوماتهم .
- فيما بقيت أعداد قليلة جداً ممن لم يستطيعوا العودة خشية الملاحقة والمطاردة.
- وتاه عدد كبير منهم في أوروبا كملاذات آمنة.
- أما أسامة بن لادن فاتجه نحو السودان سنة 1991 مع أنصاره ومعاونه للاستثمار هناك وبدء الإعداد لإقامة دولة إسلامية هناك .
- آمن الواضح أن التسمية ارتبطت بظروف معينة ، ومن الأوضح أيضاً أن القاعدة كتنظيم ارتبطت بأسامة بن لادن. وستكون الفترة الممتدة بين عامي 1992-1996 حاسمة على كافة الأصعدة المتعلقة ببروز القاعدة كتنظيم جهادي فريد من نوعه. ولكن متى؟ وكيف؟ فمنذ أن قرر بن لادن الاستقرار في أفغانستان ومباشرة العمل الميداني سنة 1986 إلى حين الهزيمة السوفياتية الساحقة والذهاب إلى السودان لم يكن له سوى هدفين مركزيين هما:
- هدف عام يتمثل في المشاركة في الجهاد الأفغاني وإقامة الدولة الإسلامية في أفغانستان.
- هدف خاص يتمثل بمشروع جهادي يكون اليمن الجنوبي الشيوعي ساحته ، وقد باشر ذلك خلال سنتي (1989-1990) واستمر في محاولته إلى قيام الوحدة [1] ولكن دون أن يحقق أي نجاح يذكر بسبب ما اعتبره خذلانا من الزعماء التقليديين للجماعات الإسلامية لاسيما الشيخ مقبل الوادعي شيخ السلفية هناك .
- لذا فقد حذب العمل ، في أفغانستان ، مستقلاً إلى جانب التيارات الأخرى المشاركة والتي عملت بنفس الطريقة من الإعداد والتدريب والتوجيه لأهداف قطرية ، وكان له ما أراد . ولم تكن له - طوال مرحلة الجهاد الأفغاني الأول - عداوات ولا مشاكل كبيرة مع الحكومة السعودية حتى ذلك الحين ، ولم يكن ميالاً حتى لفكرة عولمة الجهاد إلى أن ظهرت مشكلة الكويت سنة 1991 واستقدام القوات الأميركية إلى الجزيرة العربية وما خلفه هذا الاستقدام من زلزال عنيف أصاب الأمة وقسمها أفقياً ورأسياً ليس على خلفية احتلال العراق للكويت بل على مشروعية وجود قوات غربية صليبية في أرض الحرمين والاستعانة بها .
- وكانت التيارات الجهادية العاملة في أفغانستان أكثر من عانى من آثار هذا الزلزال . وتأسيساً على حالة الانقسام هذه بين ساسة الأمة من جهة وبين علمائها من جهة أخرى مثلت السنوات الفارقة بين السودان وطالبان المخاض الفكري الحاسم لدى بن لادن والذي انتهى إلى إعلان الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية وعلى الأنظمة السياسية العربية قاطبة متهما إياها بالكفر والردة والتعاون مع الأعداء.

وكان لهذا التحول سببين كما يورد أبو مصعب السوري:

- تأثر بن لادن بتيارات الجهاد الإسلامي القادمة من مصر.
- الحضور الأمريكي والغربي الكثيف للقوات المسلحة في الجزيرة العربية بدعوة من حكامها ، و الأنكى منه ما اعتبره تشريعاً من هيئة علماء المسلمين الرسمية لهذا الحضور .

ومن الطبيعي أن يستدعي هذا التحول مواقف جديدة كل الجدة ، ستدفع بن لادن تدريجياً إلى الصعود أكثر من درجة على السلم حيث سينتقل من صاحب مشروع جهادي محدود إلى زعيم لتنظيم جهادي عالمي ، ومن معارض لئن بالنصيحة والمذكرات والرسائل للحكومة السعودية وهيئة علماء المسلمين وعلى رأسها الشيخ ابن باز إلى معارض شديد وصعب المراس يصب جام غضبه على السلطة وهيئة العلماء بحملات إعلامية نشطة ومكثفة ، ومن معارض للوجود الأميركي ونازع للشرعية السياسية والدينية عنه إلى ذروة السلم كمقاوم بالفقه الشرعي وبالسلح للولايات المتحدة الأمريكية في الجزيرة وفي شتى بقاع الأرض .

وتبعاً لذلك ، وعبر نمط الإسلام الشمولي والعالمي ، كان ينبغي التوقف عن المشاريع المحدودة وأن يجري الاستحضار الشرعي للقضية الفلسطينية برمتها عبر الربط الطبيعي بين ما يراه عدواناً أمريكياً على المسلمين في العالم وعدواناً إسرائيلياً صهيونياً على المسلمين في فلسطين وبالتالي إضافة المسجد الأقصى إلى قضية الحرمين الشريفين [2]. ولكن قناعته في السودان التي تحولت إلى ملاذ آمن تحكمه الشريعة سرعان ما بددته الوقائع . ففي سنة 1995 خلال عهد الرئيس بيل كلينتون نفذت الولايات المتحدة برامجها في مكافحة الإرهاب والتي تمثلت بإغلاق كافة الملاذات الآمنة أمام من تعتبرهم إرهابيين ، وعملت على نقل وتوسيع مستوى التنسيق الأمني من الحالة الإقليمية إلى الحالة الدولية ، وفرضت على الدول توقيع اتفاقيات أمنية لتبادل المطلوبين وطردها ما لديها ممن تعتبرهم إرهابيين أو تسليمهم إلى بلدانهم ، وهي سياسة تضخمت إلى حد التخمة في عهد الرئيس بوش الابن لاسيما بعد هجمات سبتمبر .

وهكذا لم يجد بن لادن ومن معه من أنصار وقوى جهادية احتتمت بالسودان إلا الرحيل صوب إمارة طالبان وبدء المرحلة الجديدة من الجهاد الأفغاني سنة 1996 تحت مظلة ومبايعة الملا محمد عمر زعيم الطالبان .

غير أن واقع الأمر مختلف هذه المرة ، فالعائدون تغلب عليهم صفة النخبة من بين التيارات الجهادية المختلفة ، كما أن عددهم لم يتجاوز في أحسن الحالات بضعة آلاف مع أسرهم . ومع حلول العام 2000 كانوا قد نجحوا في تأسيس 14 تجمعاً أو تنظيماتاً أو معسكراً مستقلاً ومعترفاً به رسمياً من قبل طالبان وتربطهم بوزارات الدفاع والداخلية والاستخبارات برامج ضبط وتنسيق وتعاون سواء في تنسيق دعمهم وجهادهم إلى جانب طالبان أو في برامجهم الذاتية عدا المجموعات الباكستانية التي كانت متعددة ولها أيضاً ترتيبها الخاص .

وكان ممن عاد لخوض المرحلة الثانية من الجهاد الأفغاني:

• المجموعات العربية والتي ضمت كل من تنظيم القاعدة بزعامة أسامة بن لادن والجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا بقيادة أبو عبد الله والجماعة الإسلامية المجاهدة في المغرب (مراكش) بقيادة أبو عبد الله الشريف وجماعة الجهاد المصرية بقيادة أيمن الظواهري والجماعة الإسلامية المصرية وتجمع المجاهدين الجزائريين وتجمع المجاهدين من تونس وتجمع المجاهدين من الأردن وفلسطين بقيادة أبو مصعب الزرقاوي ومعسكر خلدن (معسكر تدريبي عام) وقاده ابن الشيخ - صالح الليبي ومساعدته أبو زبيدة ومعسكر الشيخ أبو خباب المصري (معسكر تدريبي عام) ومجموعة معسكر الغرباء التي قادها أبو مصعب السوري.

• ومن غير المجموعات العربية يشار إلى المجموعات الأوزبكية ومثلها من تركستان الشرقية المحتلة من قبل الصين بقيادة أبو محمد التركستاني ومجموعات من تركيا [3].

في الأثناء بذل الكثير من أنصار القاعدة ومفكريها وبعض تيارات الجهاد المصري وغيرها بما في ذلك أبو مصعب السوري جهوداً جبارة لإقناع التيارات المختلفة بالانضمام تحت مظلة الجهاد العالمي. ففي فبراير سنة 1998 أعلنت سلسلة من المجموعات المقاتلة في أفغانستان عن الاندماج فيما بينها عبر تشكيل إطار جهوي أعلن عنه باسم "الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين" بقيادة أسامة بن لادن وأيمن الظواهري وهذا صحيح إلا أننا نتحفظ على ما ذكر من انضمام بعض الجماعات [4] لعدم توفر معلومات دقيقة عن صحة ذلك لاسيما وأن الغالبية الساحقة منها لم تستجب لدعوة بن لادن إلا في اللحظات الأخيرة من العام 2001 حين أقدمتها أمريكا قسراً في هذا الاتجاه بعد هجمات سبتمبر . فقد كان لهذه التيارات برامج قطرية خاصة بها فضلاً عن أنها لم تعند العمل بطريقة التنظيم العالمي وهي المبنية على صيغة التنظيمات القطرية - السرية - الهرمية والأهم أنها لم تلحظ قط بنية مؤسسية أو أيديولوجية مألوفة لها . إلا أن هذا التمتع توقف فعلاً مع الغزو الأمريكي لأفغانستان وانقراض الغالبية الساحقة من رموز التيارات الجهادية ومخزونها البشري قتلاً واعتقالاً لما يتراوح بين 3000-4000 شخص من بينهم أطفال ونساء ، فضلاً عن تراجع البعض منها كما فعلت الجماعة الإسلامية فيما عرف عنها بـ "مبادرة وقف العنف".

هكذا نشأ تنظيم القاعدة وهكذا استقر بعد الاحتلال الأمريكي لأفغانستان ، إلا أن التغير الكبير سيأتي تبعاً كلما توسعت رقعة المواجهة مع الأمريكان باحتلال العراق حيث سنشهد حينها تفرجاً كبيراً للخلايا في عديد البلدان العربية والإسلامية ومزيداً من انضمام التيارات والجماعات إلى التنظيم أو إلى فكرة الجهاد العالمي.



## ثانياً: المستوى النظري الثاني من التوصيف .

كان أبو مصعب السوري قبل اعتقاله مؤخراً من القلة المعدودة التي نجت من مذبحه الفتك بأفغانستان والتي نفذتها الولايات المتحدة وباكستان غداة هجمات سبتمبر ، وكان واحداً من أعمدة الفكر الاستراتيجي للتيارات الجهادية الراهنة وخاصة القاعدة بوصفه مشاركاً ومؤرخاً ومحاضراً ومحاوراً ومدرباً في معظم التجارب الجهادية العربية وحتى غير العربية ، ولا شك أن له تأثيره الخاص على توجهات تنظيم القاعدة نحو العالمية ، كما أن مشروعه في الدعوة إلى مقاومة عالمية شاملة لاقى تجاوباً في الغصلة وباتت أفكاره تعبر عن صميم تفكير القاعدة.

ومن الطريف ملاحظة تسمية المؤلف الضخم الذي افتتحه بلفظة " دعوة ... " وليس حركة أو تنظيم أو حزب . وعلى فرادة وجدية الموضوعات المطروحة وذات الصفة الموسوعية ، وحين سبر أغوار المؤلف المنهك وتوابعه من الإنتاجات الغزيرة للكاتب الصوتية منها والمرئية سيتبدى بوضوح ما يمكن اعتباره توصيفاً بالغ الدقة لتنظيم القاعدة حالياً والذي امتنع عن التعرض له بالكتابة .

ففي المؤلف يعرض السوري لدستور الدعوة بشكل مفصل وميسر ، وفي المادة الأولى منه يكشف النقاب عن هوية الدعوة عبر النص التالي:

" دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ليست حزباً ، ولا تنظيماً ، ولا جماعة محدودة محددة . فهي دعوة مفتوحة . هدفها هو دفع صائل القوى الاستعمارية الصليبية الصهيونية الهاجمة على الإسلام والمسلمين ويمكن لأي تنظيم أو جماعة أو فرد اقتنع بمنهجها وأهدافها وطريقتها ، الدخول فيها بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر "[5].

هذه ملاحظة يصعب تجاوزها أو التقليل من مضمونها وخلفيات بنائها لاسيما أنها حُطَّت بعد نحو ثلاث سنوات من سقوط طالبان ومذبحه القاعدة في قلعة جاجي . وفي رسالة وجهها أحد رواد المنتديات الجهادية إلى تنظيم القاعدة بعنوان: "رسالة عاجلة جداً إلى تنظيم القاعدة في جزيرة العرب (السعودية)" يحذر فيها من أن التنظيم الذي نجح في "فرض منطق القوة العسكرية" فشل في تحقيق اختراق على مستوى الفكر "القادر على إحداث انقلاب فكري في مجتمع جزيرة العرب ، بل ظل هذا الفكر كما بدأ في حدود ضيقه ودوائر مغلقة لم يستطع التنظيم الخروج منها ليصبح تياراً شعبياً شاملاً" . فيلإي أي مدى تبدو مثل هذه الفرضية صحيحة فيما ذهبت إليه؟

في الحقيقة تبدو صحيحة إلى حد كبير[6] على مستوى الروافد البشرية للتنظيم نفسه والذي يشكو نقصاً في الكادر ، وهو ما عبرت عنه القاعدة في أفغانستان والعراق عبر دعوات صريحة ومباشرة من قادة التنظيم وهذا يعود ليس إلى قصور في شيوع أفكار القاعدة بقدر ما يعود بالدرجة الأساس إلى قصور تنظيمي في العمل على تجنيد

الأفراد وتأمين نقلهم إلى الجبهات بالرغم من حملات المطاردة والملاحقة وهو ما اعتادت عليه القاعدة أصلاً. أما على مستوى الفكرة فليس ثمة شك في انتشار فكرة الإسلام العالمي المقاتل التي اخترقت إجمالي التشكيلات الاجتماعية والسياسية والدولية على حد سواء ، وباتت فكرة عابرة سياسياً للقارات و للأيديولوجيا وحتى للمجتمعات الغربية وإن بشكل محدود جداً ، فالقاعدة وما تدعو إليه ليس ولا صعب الوصول إليه وإن كان ثمة رغبة وحرص وجهود جبارة من قبل الدول وأجهزة الأمن والاستخبارات والجماعات المناهضة للقاعدة وأفكارها تنصب على محاربتها ومحاربة أفكارها ومحاصرة انتشارها بما في ذلك حظر المواقع والمنتديات المناصرة لها والمعادية للولايات المتحدة .

إذن الحديث عن تنظيم القاعدة على مستوى العبور القاري والأيدولوجي ، وانطلاقاً من السلفية كمنهج في العمل والتفكير يمكن ملاحظة القاعدة كمجموعة تنظيمات تقع في مستوى :

- الخلايا الفاعلة والخلايا النائمة في بلدان عديدة في العالم .
- الجماعات والتنظيمات الإسلامية المتهمة بموالاتة القاعدة وذات النشأة المختلفة أو ذات الارتباط الفكري أو التنظيمي بها مع تمتعها باللامركزية في العمل. وبالرغم من صعوبة رصد مثل هذه الجماعات إلا أنه يمكن الإشارة إلى بعض من أبرزها مثل تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين، وتنظيم الجماعة الإسلامية في اندونيسيا والتي ينسب لأحد أعضائها تفجيرات بالي، وتنظيم جيش عدن أبين الذي بايع بن لادن على الولاية سنة 1998، وينسب له تدمير المدمرة الأمريكية كول سنة 2000، والجماعة السلفية للدعوة والقتال في الجزائر والتي أعلنت استعدادها مؤخراً للانضمام إلى تنظيم القاعدة، وتنظيم جماعة أنصار الإسلام الكردية في كردستان العراق ، والجماعة الإسلامية المقاتلة الليبية ، وميليشيات المحاكم الإسلامية في الصومال والتي لا يستبعد تصنيفها من قبل أجهزة الاستخبارات الأمريكية بالانتماء إلى القاعدة ، وتنظيمات متعددة باسم جند الشام أو جند الإسلام في أوساط العرب والسنة الإيرانيين وأخيراً مقاتلي الحزب الإسلامي الأفغاني بزعامه حكمتيار.

- الجماعات والتنظيمات الإسلامية المسلحة وغير المسلحة وغير الموالية للقاعدة ولكنها ، إن لم تكن مناصرة وداعمة فهي محايدة على الأقل، وبالتالي قابلة للتحويل والعمل وفق منهج القاعدة بفعل ظروف سياسية قد تضطرها إلى الإفلات من حالي التردد والجمود والانخراط بفكرة الإسلام العالمي المقاتل، جزئياً أو كلياً، كحزب التحرير وجماعات الإخوان المسلمين والدعوة وحتى حركة حماس [7] والجهاد الإسلامي والتبليغ والدعوة وغيرها.

- بعض الجماعات المسلحة الوطنية غير المرتبطة بأية أيديولوجيا إسلامية ولكنها تظهر تعاطفاً كبيراً مع الفكرة ولعلها تشهد تحولاً بطيئاً نحو صريح الفكرة ، وتشكل بعض الأجنحة العسكرية لحركة فتح أمثلة ملموسة بالإضافة إلى لجان المقاومة الشعبية وجناحها العسكري ألوية الناصر صلاح الدين .

هذا العرض الموجز عن التنظيم كفكرة يشير إلى مفاتيح الانتشار الشعبي ، بمعنى أن تحول القاعدة كتنظيم عابر للقارات ومتغلغل بين الشعوب لا يقع في سياق الانتشار الأيديولوجي الذي يتحقق نسبياً عبر العمليات المسلحة للقاعدة بقدر ما يتحقق عبر شبكة التنظيمات والجماعات المختلفة والتي تمثل الرصيد الفعلي لأي اختراق محتمل وواسع النطاق . وإذا كان من الصحيح الجهر بأن عملية هجومية كبيرة جداً كهجمات نيويورك وواشنطن قد حققت تعاطفاً هائلاً مع القاعدة إلا أن أسلوب العمل فشل في استثمار هذا التعاطف وتوظيفه ، أو أن القاعدة تخشى فعلياً من تحولها إلى تنظيم جماهيري يسهل اختراقه ويصعب السيطرة عليه تماماً مثلما حصل مع التنظيمات الفلسطينية غداة معركة الكرامة في غور الأردن (آذار 1968) والتي انتهت بالإغراق الجماهيري الذي أفقدها القدرة على التأهيل العميق للأفراد .

هكذا تبدو النظريتان على مستوى كبير من المصادقية ، لهذا لم يعد يتحدث أحد عن تنظيم متفوق أو محصور في بقعة جغرافية معينة لأهداف محدودة بل عن شبكة تنظيم مترامية لم تعد مرتبطة بشخص بن لادن ولا بغيره بقدر ما هي مرتبطة بفكرة لم تعد ملكاً لأحد ولم تعد السيطرة عليها ممكنة ولا أحد يستطيع التكهن بنهاياتها.

## المسألة الثالثة: فلسطين في عقل القاعدة :

أولاً: استراتيجية المواجهة عند القاعدة :

لا ريب أن لتنظيم القاعدة تطلعات جهادية نحو تحرير فلسطين ، فمنذ التحول الأيديولوجي الكبير الذي طرأ على فكر بن لادن والظواهري وغيرهما من قادة التنظيم ومنظريه لجهة وجوب الربط المحكم بين المساجد الثلاثة والتخلي عن مقاتلة أنظمة الحكم العربية لصالح مقاتلة القوى الغربية واليهودية الصائلة في بلاد الإسلام توالى خطابات قادة التنظيم ورسائلهم الصوتية والمرئية تباعاً ابتداءً من بن لادن والظواهري وانتهاءً بالزرقاوي وأخص بالذكر هنا القسّم الشهير لبن لادن عدداً أحداث سبتمبر . ولكن ، كيف يمكن قراءة هذه التطلعات؟ وما علاقتها في التطبيقات الاستراتيجية للقاعدة ؟

### 1) التواجد في مناطق التوتر :

ثمة صعوبة فائقة في الإجابة على السؤال ، فنحن مازلنا بصدد تنظيم غير مؤسسي ، ولسنا معتادين على طرح مثل هذه الأسئلة في وضعية كهذه حتى تتمكن من دراسة الأهداف والغايات والوسائل وما إلى ذلك لذا سنعمد إلى مقارنة منهجية تسمح لنا بالمرونة في التفكير ولكن انطلاقاً من ضبط منهجي صارم . فما سبق وقدمنا له من مضمون جوهرى للسلفية سيكون منطلقاً لنا في السعي للاقتراب من استراتيجية القاعدة على أسس دينية وليس فقط على أسس أيديولوجية أو إعلامية أو سياسية أو حتى عسكرية خاصة وأن أحد كبار منظري القاعدة يورد عبارة جد طريفة لما يقول :

"إن الضعفاء لا يستطيعون وضع الإستراتيجيات. وذلك لعدم إمكانياتهم في فرض الظروف , أو على الأقل المحافظة على ثباتها. ولذلك قد تتغير الإستراتيجيات نتيجة الانقلاب في الظروف العامة . ومن الأجدى أن تكون إستراتيجية المقاومة مجموعة خطوط إستراتيجية عريضة تعطيها مرونة الحركة وتبديل التكتيكات بحسب الوقائع الناشئة"[8].

فمن أين يمكن الإتيان باستراتيجية إذا كانت الظروف كلها تصب في غير مصلحة التيار الجهادي عموماً والقاعدة خصوصاً ؟ ومن أين للقاعدة أن تتوفر على خطوط استراتيجية عريضة توجه اختياراتها وتتحكم بمصيرها إن لم تكن واقعة في صلب السلفية كمنهج ، وفي صلب الفقه الجهادي منه ، باعتبار الجهاد بالنسبة للقاعدة عبادة بالدرجة الأساس قبل أن يكون دفعا لوسائل من الأعداء ؟

إذن، بما أن القاعدة هي تنظيم سلفي أصيل بالدرجة الأساس ، فالتفكير خارج الإطار السلفي للكشف عن نوايا القاعدة ربما يكون مضيقاً للوقت ، وهذا يعني أن الحديث عن فلسطين أياً كانت الظروف السياسية

والأمنية هو حديث ذو طابع سلفي ، بمعنى أن تحرك التنظيم مرتبط بشكل أو بآخر بالتوجيهات الدينية التي تحكم حركة التنظيم ، وبالوضع على الأرض أو ما تسميه القاعدة بفقهِ الواقع .

ومع ذلك، وعلى صغر مساحة فلسطين، وضيق الحراك السكاني فيها لاسيما في المناطق المحتلة سنة 1967 وما تتميز به من كثافة سكانية عالية جدا ثمة عشرات التنظيمات والجماعات المسلحة المنضبطة وغير المنضبطة والتي تسببت في ازدحام كثيف في السلاح وصل إلى حدود الفوضى وما يسمى بالفلتان الأمني حتى أنه بات يهدد بحرب أهلية ، فالتشكيلات المسلحة جميعها الإسلامية وغير الإسلامية فعلت فعلها في إسرائيل وقواتها المحتلة خلال السنوات الخمس من انتفاضة الأقصى ، وأوقعت فيها خسائر فادحة مقابل خسائر فلسطينية بشرية وبنوية كبيرة جداً ومؤلمة . وتأسيساً على ذلك ثمة تساؤل يتربع على قمة المشروعية دون مزاحمة : ما الذي يمكن أن تفعله القاعدة بإسرائيل أكثر مما فعلته بها الأجنحة العسكرية لحماس أو الجهاد أو فتح وغيرها؟

فعلاً، قد يبدو السؤال ، للوهلة الأولى ، مشروعاً ولكنه في العمق المؤقت مغلوط .

فالحديث عن أن القاعدة وصلت إلى فلسطين أو بعض مناطقها حديث غامض لم تثبت صحته بعد . . .

**ولعل السؤال هو: بأي شكل يمكن للقاعدة أن تتواجد في فلسطين ، وبشكل من شأنه أن يحقق جدوى ونقله**

**نوعية في القتال ضد إسرائيل ؟**

قلنا أنه من العبث التفكير بإستراتيجية القاعدة في المواجهة بمعزل عن المنهج السلفي كموحه لخياراتها الجهادية أو بمعزل عن مفهومها للإطار الإسلامي . ولكن حتى نفهم أطروحة القاعدة جيداً يمكن التساؤل بجديّة أكبر : إذا كانت القاعدة تنظيماً إسلامياً يسعى إلى إقامة الدولة الإسلامية وإحياء سنة الخلافة في الحكم فماذا تريد - مثلاً - جماعة كالأخوان المسلمين أو أي جماعة أخرى غير تحقيق هذا الهدف ؟ أو بماذا تختلف القاعدة عن غيرها من الجماعات ؟

هنا ينبغي التمييز فعلاً ، فالغالبية الساحقة من الجماعات الإسلامية المسلحة وغير المسلحة تكتفي بالحديث عن أهداف قطرية من نوع مصر أولاً ، أو تقبل بالديمقراطية والمنافسة بالانتخابات كسبيل سلمي للوصول إلى السلطة والمشاركة في الحكم ، أو تطرح شعار الحل الإسلامي بديلاً عن الحل العلماني أو الحل الوطني أو أنها تطالب بإعمال مبدأ الحاكمية في بلدها وهكذا ، وثمة جماعات غير مسيسة أصلاً فضلاً عن رفضها الدخول في أي عمل سياسي ، بل ويشترط بعضها على أعضائه المبايعه على نبد العمل السياسي وتحريمه.

مثل هذه الأطروحات عند القاعدة لا وجود لها إطلاقاً ، فهي وإن كانت تشن حرباً على الولايات المتحدة والقوى الغربية وتحملها مسؤولية العدوان والنهب الذي تتعرض له الأمة الإسلامية والعربية فلأنها قدمت في أطروحتها

الإسلام أولاً بديلاً عن الأطروحة القطرية أو القومية ، ولأنها تعتقد أن المقاتل الأمريكي العالمي الصائل في بلاد المسلمين لا يمكن دفعه إلا بمقاتل إسلامي عالمي .

ولكن أين؟ وفي أية جبهة؟ ذلك هو السؤال .

ربما يكون صحيحاً أن القاعدة وغيرها من التيارات الجهادية فقدت الملاذات الآمنة والجبهات المفتوحة ولم يعد لديها من سبيل إلا اعتماد استراتيجية بناء السرايا الصغيرة ذاتية النشأة والتكوين والدفع والمنقطعة عن بعضها وعن أي ارتباط كان انقطاعاً تاماً والعمل بصورة منفردة حتى بعيداً عن الأمير المؤسس لها كما يقترح أبو مصعب السوري في مؤلفه .

ولكن الملاحظ، من خلال المتابعة والرصد، أن القاعدة تحوز على إستراتيجية فريدة في الصراع تقوم على التواجد في مناطق التوتر في العالمين الإسلامي والعربي من جهة بينما نراها تضرب في المناطق الأشد أمنياً واستقراراً ومراقبة من جهة أخرى ، وغالباً ما تنجح رغم كثافة الاحتياطات الأمنية ودقة المراقبة والرصد. بمعنى أن القاعدة من المرجح أنها لا تستطيع العيش والعمل والتخطيط إلا في بيئة مضطربة ومنقسمة على نفسها أو مرشحة للانقسام أو ذات حكم بوليسي أو مناطق فوضى أو معازل اجتماعية وسياسية أو ضمن تجمعات مذهبية أو طائفية أو ذات نزاعات مسلحة واضطرابات سياسية . هذه هي البيئة المفضلة التي تنتعش فيها تنظيمات القاعدة ومناصريها دون أن تساهم بالضرورة في خلقها أو تهيتها.

وفي السياق يمكن ذكر أفغانستان و عربستان وكشمير و باكستان والهند وإندونيسيا والشيشان ، لبنان وفلسطين وسوريا والأردن والعراق والجزيرة العربية لاسيما اليمن والسعودية والكويت وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا والصومال ودارفور وتشاد والسودان وغيرها من مناطق التوتر في العالم . أما عن ضربات القاعدة فيمكن ذكر نيويورك وواشنطن ولندن ومدريد واستانبول وكينيا وتزانيا وإندونيسيا والمغرب واليمن والأردن وغيرها.

### 2) توسيع ساحة المواجهة :

تعتبر هذه العقيدة أخطر ما يمكن تصوره في فكر القاعدة على الإطلاق لأنها ستعني جعل بلدان العالم الإسلامي مجتمعة أو منفردة ساحة مواجهة حقيقية بكل ما يترتب على ذلك من كوارث . كما أنها ستعني سقوط نظرية "مصر أولاً أو فلسطين أولاً أو أفغانستان أولاً ... " من فكر التيارات الجهادية وإحلال فكرة "ساحة المواجهة أولاً" أو فكرة "الحفاظ على تماس مع العدو أولاً" بديلاً عنها.

وهي فكرة جلبتها المنظمات الفلسطينية لتوريط الدول العربية في حرب مع إسرائيل ، والحقيقة غير الخافية أنها فكرة لطالما داعبت خيال مؤسسي حركة فتح الذين ناقشوا طويلاً إمكانية توسيع ساحة المواجهة مع إسرائيل

عبر جرها إلى احتلال المزيد من الأراضي العربية المجاورة لاسيما في الأردن وسوريا ولبنان طمعا بالجغرافيا الموازية لحرب عصابات وبالخضوع الفلسطيني الكثيف في هذه الدول . غير أن استراتيجيا المنظمات الفدائية العلمانية والإسلامية فشلت في تحقيق هذا المسعى والذي كان آخر تطبيقاته حين دخلت القوات العراقية إلى الكويت في 8 آب 1990[9].

والآن تأتي القاعدة وعبر تحديد جديد لفسطاط الأصدقاء والأعداء وبأدوات وتكتيكات جديدة لتجعل من هذه الأفكار حقيقة واقعة وليس تمنيات أو عبر تحبطات ، كونها متحررة من ضغوط الأيديولوجيا والالتزام بأية مصالح سياسية أو أمنية أو اقتصادية تجاه هذه الدولة أو تلك . فهل هي قادرة على تحقيق أهدافها ؟ وما الذي سيمنعها من تنفيذ مخططاتها إن هي عازت على ذلك؟

قبل عام تقريباً كتاب عن الزرقاوي يتضمن وثيقة سرية بعنوان "استراتيجية القاعدة" تتحدث عن وضعها لخطة نظرية مدتها عشرين عاماً (2000-2020) ، وهي كما تقول خطة واقعية وقابلة للتطبيق ضمن جدول وبرنامج زمني مدروس ومحكم ، وفي المرحلة الأولى من الوثيقة (الإفاقة 2007-2010) يرى واضعو الوثيقة أن الولايات المتحدة ، في ردها السريع على هجمات سبتمبر ، قد "بلعت الطعام" بالكامل وحتى الشمال حين أقدمت على احتلال أفغانستان والعراق[10].

ولا نبالغ إذا قلنا أن اللعبة بين القاعدة وواشنطن تشبه عض الأصابع ، فإن كانت القاعدة نجحت فعلاً عبر تخطيط مسبق ومدروس باستدراج واشنطن إلى ساحة المواجهة ، إلا أن غرق الولايات المتحدة في المستنقع العراقي بالرغم من تدميره وتخريب مكوناته البنوية وتخطيط نسيجه الاجتماعي يطرح مائة سؤال عما إذا كانت أميركا بصدد فتح مواجهات جديدة مع إيران وسوريا أو تحقيق احتلالات أخرى على شاكلة ما يحدث في العراق وأفغانستان ، فإذا ما صمدت الولايات المتحدة وابتلعت الخنجر ستكون بهذه الطريقة - على الأقل قد قطعت الطريق على القاعدة بتوسيع ساحة المواجهة ولجأت فعلياً إلى الحضور الاستخباري المكثف واستعمال سياسات التهديد والضغوط ضد الدول العربية تجنباً لخوض مواجهات مسلحة مباشرة.

غير أن الولايات المتحدة وأوروبا ستظل بعيدة عن الشعور بالأمان أبدا طالما بقيت خلايا القاعدة المنتشرة في شتى أرجاء العالم تصول وتجول في أراضيها وتخيم عليها وعلى مؤسساتها كالشبح على مدار الساعة ، فمن ذا الذي سيمنعها من سبتمبر جديد لاسيما وأن الشواهد لما تنزل حية بعد ، ومن أمثلتها:

• سلسلة الهجمات العنيفة التي شنتها القاعدة أو تنظيماً لها أو الخلايا المناصرة لها في لندن ومديد وبالي وغيرها.

## د . أكرم حجازي

- لجوء القاعدة إلى تنظيم عناصر غير عربية ومن داخل أوروبا والولايات المتحدة لتنفيذ هجمات محلية مما يعقد مهمة القوى الأمنية والاستخبارية ويمس صفو نخط الحياة الغربي الذي بدأ يتعكر من خلال التجسس على المواطنين وسن تشريعات قانونية تحد من حرية الفرد وتضرب مبدأ حقوق الإنسان في الصميم.
- التهديدات التي تطلقها القاعدة بين الفينة والأخرى لاسيما تهديد أسامة بن لادن وأبمن الظواهري بوجود مشاريع هجمات قيد الإعداد إن لم يكن قيد التنفيذ . وكأن القاعدة باتت تدرك أن ضربات سبتمبر ولندن ومدريد وبالي وغيرها لم تعد كافية لإيقاع استفزاز شديد يعيد قلب الموازين ، ويدفع إلى استئناف استراتيجية توسيع ساحات المواجهة .
- الفتوى التي أصدرها بن لادن والتي تجيز استهداف المؤسسات النفطية على اختلافها لخلق فوضى عالمية عارمة والحيلولة دون استفادة الدول من عائدها كما تقول استراتيجية القاعدة في مرحلتها الثانية ، وقد رصد العالم بقلق بالغ المحاولة الفاشلة التي قامت بها خلايا قاعدية في السعودية واستهدفت مصفاة ابيق في شهر فبراير من العام الجاري[11].
- إذن كل شيء ممكن الحدوث ، ولعل أهم استنتاج يمكن التوصل إليه بالنسبة لهذا الشق من المسألة ، بالنظر لما سبق ، يجرم بما لا يدع مجالاً للشك أن القاعدة لا يمكن لها أن تنحصر في إطار جغرافي معين وتكتفي ، فهي بحاجة فعلاً إلى مساحات شاسعة للتحرك وهو ما تلتزم به حتى الآن ، ولا يبدو أنها في طريقها إلى تغيير استراتيجيتها تلك ، ولا يبدو أن أحدا قادرا على محاصرتها وهي بهذه العقلية.



## ثانياً: فلسطين كهدف للقاعدة<sup>٤</sup>

لقد سبق القول أن القاعدة تنظيم يستقي توجيهاته من المصادر السلفية الأربعة ويستعمل السلفية بوصفها منهج في التفكير والعمل ، والسؤال الجوهرى الذي سنطرحه يقول: ماذا يقدم المنطق السلفي بالنسبة لفلسطين؟ بل هل يمكن للقاعدة أن تفكر في فلسطين بغير المنطق السلفي؟

### 1) المحتوى الدينى وتطبيقاته :

في الحقيقة يصعب القول أن يكون التفكير في فلسطين واقعا خارج المنطق السلفي المزدهم في التوجيهات العقدية. ففي القرآن الكريم ثمة عشرات الآيات التي تتحدث عن اليهود والنصارى وموالاته المشركين والكفار، أما عن فلسطين فثمة سور كاملة وليس آيات فقط، ومن ذلك:

#### أ- الأرض المباركة :

- قوله تعالى في قصة موسى: ( وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ {137} )، الأعراف. فقد أورث بني إسرائيل مشارق أرض الشام ومعاربها بعد أن غرق فرعون في اليم.

- وقوله في قصة الإسراء: ( سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ {1} )، الإسراء.

- وقوله في قصة إبراهيم: ( وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ {70} وَتَجَنَّبَاهُ وَأَلُوهُ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ {71} )، الأنبياء. ولقد نجى الله إبراهيم ولوطا إلى أرض الشام من أرض الجزيرة والعراق.

- وقوله تعالى: ( وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ {81} )، الأنبياء. وإنما كانت تجري إلى أرض الشام التي فيها مملكة سليمان.

- وقوله تعالى في قصة سبأ: ( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ {18} )، سبأ. وهو ما كان بين اليمن حيث مساكن سبأ وبين قرى الشام من العمارة القديمة.

ولو تتبعنا الأحاديث النبوية عن الأرض المباركة لوجدنا أن عشرات الأحاديث تختص بمنطقتين شملتهما بركة الله ما لم تشمل أية مناطق أخرى فيما عدا مكة والمدينة. هاتان المنطقتان هما الشام بما فيها بيت المقدس واليمن. ومن

<sup>٤</sup> - الحلقة الرابعة - ٢٠٠٦/٨/٣١ .

مضمون الأحاديث سنلاحظ أن لفظة البركة توسطت قلب الرواية ومثلت عصبها ، وهذا يؤشر على أن اللفظة صعبة الإحاطة بما أنها تشتمل على دلالات عمومية بحيث يمكن إسقاطها على البشر والمكان والتضاريس والطبيعية والاعتقاد والإيمان والأمن والغذاء وكل ما يمكن تصوره ... إلخ

### ب- فضائل الشام واليمن :

أما عن الأحاديث النبوية الشريفة فقد وردت في روايات عديدة مفسرة وموضحة بعضها ونذكر منها دون تكرار فيما يتعلق باختلاف الروايات إلا ما وجب، ومنها:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " سَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مُجَنَّدَةً جُنْدًا بِالشَّامِ وَ جُنْدًا بِالْيَمَنِ وَ جُنْدًا بِالْعِرَاقِ قَالَ ابْنُ حَوَالَةَ خِرِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكَتُ ذَلِكَ فَقَالَ عَلَيْكَ بِالشَّامِ فَإِنَّهَا خَيْرَةٌ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَرْضِهِ يَجْتَنِي إِلَيْهَا خَيْرَتُهُ مِنْ عِبَادِهِ فَأَمَّا إِنْ أَيْبَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ بِالْيَمَنِ وَأَسْقُوا مِنْ عُذْرِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَوَكَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ " . قال ربيعة: فسمعت أبا إدريس يحدث بهذا الحديث يقول: ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه. وروى البخاري: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا". وروى أبو داود: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: " إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْعُوْطَةِ إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ ". وروى الترمذي عن رَسُولِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ: " إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَدَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ". وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: " كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ نُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرَّقَاعِ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ طُوبَى لِلشَّامِ فَقُلْنَا: لِأَيِّ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِأَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أَجْنَحَتَهَا عَلَيْهَا ". وفي رواية أخرى عن زيد بن ثابت: " ... إن الرحمن لباس رحمة عليه ". وأخرج ابن ماجة والحاكم وصححه وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله يقول : " إِذَا وَقَعَتِ الْمَلَا حِمُّ حَرَجَ بَعَثُ مِنَ الْمَوَالِي مِنْ دِمَشْقِ هُمْ أَكْرَمُ الْعَرَبِ فَرَسًا وَأَجْوَدُهُمْ سِلَاحًا يُؤَيِّدُ اللَّهُ بِهِمْ هَذَا الدِّينَ ". وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله : " إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي فنظرت فإذا هو نور ساطع عمد به إلى الشام ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام ". وعن سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله : " ستخرج نار في آخر الزمان من حضرموت تحشر الناس قلنا : بما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال: عليكم بالشام ". وأخرج السيوطي والطبراني أن رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: "عَقْرُ دَارِ الْإِسْلَامِ بِالشَّامِ ". وعن ابن عمر أن رسول الله قال: "اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا. فقال رجل: وفي شرقنا يا رسول الله ؟ فقال: اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا. فقال رجل: وفي مشرقنا يا رسول الله ؟ فقال: "اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا، إن من هنالك يطلع قرن الشيطان و به تسعة أعشار الكفر و به الداء العضال ". وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله : " لا يزال أربعون رجلاً من أمتي قلوبهم على قلب إبراهيم ، يدفع الله بهم عن أهل الأرض، يقال لهم: الأبدال ". وعن شريح بن عبيد قال: ذكر أهل الشام عند علي وهو بالعراق، فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين، قال: لا

إني سمعت رسول الله يقول: "البدلاء بالشام، وهم أربعون رجلاً ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً يستقى بهم الغيث ، ويتنصر بهم على الأعداء ، ويُصرف عن أهل الشام بهم العذاب".

### ج- فضائل بيت المقدس :

أما فيما يتعلق ببيت المقدس والشام حصراً فما يعيننا هي الأحاديث التالية:

قال رسول الله : "لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك. قال: يا رسول الله وأين هم؟ قال: بيت المقدس وأكناف بيت المقدس". وعن أبي هريرة عن النبي قال: "لا تزال عصاة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله ، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله ، لا يضرهم خذلان من خذلهم ، ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة".

وعن معاذ بن جبل قال: "وهم بالشام"، وفي تاريخ البخاري مرفوعاً قال: "وهم بدمشق"، وفي صحيح مسلم عن النبي أنه قال: "لا يزال أهل الغرب ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة" ، وقال أحمد بن حنبل : أهل المغرب هم أهل الشام وهم كما قال : لوجهين ، أحدهما أن في سائر الحديث بيان أنهم أهل الشام وثانيهما أن لغة النبي وأهل مدينته في أهل المشرق هم أهل نجد والعراق ، وكان أهل المدينة يسمون الأوزاعي إمام أهل الغرب ، و يسمون الثوري شرقياً من أهل الشرق ، ومن ذلك أنها خيرة الله في الأرض وأن أهلها خيرة الله وخيرة أهل الأرض . ومثل هذه النصوص القرآنية أو الأحاديث النبوية لا يمكن إلا أن تجدها معروضة وموثقة ومسندة ومشروحة ومعلق عليها في أية محاولة للتيار الجهادي وللقاعدة لتشريع قتال اليهود والصليبيين سواء كانت بحثاً أو مقالاً أو خطبة أو توجيه أو رسالة صوتية أو مرئية . والسؤال الحاسم الآن هو : كيف توظف القاعدة المحتوى الديني للوصول إلى فلسطين ؟

من الأفكار المركزية التي تبرر للقاعدة تواجدها وتبنيها للمواجهة مع ما تعتبره قوى الظلم والكفر العالميين هو دفاعها بالدرجة الأساس عن دين الله قبل عباد الله ، ولهذا فالجهاد بالنسبة لها هو عبادة وفريضة متعينة في هذه الأيام لنصرة الدين ورد العدو الصائل في ديار المسلمين ورفع الظلم عن المستضعفين كما تقول .

وفي هذا السياق بالضبط تجيء أحاديث فضائل الشام كمنطلق للحشد والرباط والجهاد باعتبار الشام موطن البركة والأمن ونصرة الدين مثلما هي أيضا موطن الطائفة المنصورة. ولأننا في صلب المحتوى الديني سنلاحظ ما يلي :

- إن الأحاديث النبوية تحدثت عن ثلاثة أجناد محددة هي جند الشام وجند اليمن وجند العراق.
- كما أن الأحاديث باركت في اليمن والشام ولكنها فيما يخص القتال والنصرة وخيرة بني البشر ركزت على الشام وبيت المقدس دون غيرهما.

- كما أن الأحاديث اختصت الشام برحمة الله وكفالتة وفي رواية أخرى بحماية الملائكة لها .
- كما أن الأحاديث تبشر بالشام كملجأ آمن حيث تقع الفتن والملاحم .
- كما أن الأحاديث تثبت أن الشام تحوز على سنة التدافع الإنساني ، بمعنى أن التغيير المحتمل ينطلق منها قبل غيرها .

وفي الحقيقة يمكن الإشارة إلى الكثير مما يذكره مفكرو القاعدة أو أنصارها فيما يتعلق بمواطن البركة في هذه

المناطق . فهل يعني هذا أن الشام واقعة لا محالة في صلب عقل القاعدة كمنطلق قادم للعمل ؟

يبدو الأمر كذلك وفي الصميم ، وإلا فما قيمة هذه الأحاديث إن لم يُعمل بها ؟ ففي وثيقتها الشهيرة يتبين أن القاعدة تحضّر في المرحلة الثالثة منها والمسماة بـ "مرحلة النهوض والوقوف على القدمين" لإحداث "نقطة نوعية مهمة في عملية التغيير في المنطقة المحيطة بالعراق ، حيث سيتم التركيز في البداية على الشام ، وأن اختيار الشام لم يكن عشوائياً بالنسبة لهم ، فهم يستندون إلى الأحاديث النبوية الصحيحة التي وردت عن الرسول تتحدث عن حصار الشام بعد العراق [1]". وبطبيعة الحال لا تغفل الوثيقة الدور الذي ستلعبه طلائع جند الشام التي تنهياً لشن هجمات داخل سوريا حالياً ، وهو ما نشهد بواكيره الأولى منذ نحو عام على الأقل .

و حين التحري عن استراتيجية القاعدة، وفقاً للمرحلة الثانية ( فتح العيون 2003-2006 ) من خطتها المعلنة سنلاحظ مزيداً من الوضوح في التركيز على تحقيق هدفين مركزيين حين يتعلق الأمر بفلسطين :

الأول: تتوجه فيه القاعدة إلى تحقيق المزيد من الحشد والرباط في المناطق المحيطة ببيت المقدس تأسيساً على ما تراه وثيقة الاستراتيجية بأن القاعدة ستغدو تياراً جارحاً يصعب القضاء عليه.

الثاني: يبدو هدفاً احترازياً ومشروطاً بتحقيق أحد شقيه أولاً ، فإذا تفتحت عيون المسلمين على واقعهم الذي آلوا إليه وازداد التيار توسعاً وانتشاراً وقوة حينها يبدأ الاشتباك المباشر مع دولة اليهود في فلسطين . وهذا يعني أن استهداف فلسطين تنظيمياً أو فكرياً من قبل القاعدة سيمثل مقدمة تمهد لبدء الاشتباك مع إسرائيل. وهذه مسألة وعرة للقاعدة ، ولكن لا مفر منها لسببين على الأقل:

(1) إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن سلفية القاعدة تحتم عليها الاسترشاد بالنص القرآني [2] من حيث الإعداد أولاً وقبل بدء المواجهة [3].

(2) ولأن القدس واقعة في قلب حولية [4] الصراع باعتبارها موطن الخلافة القادمة وفقاً للحديث النبوي الشريف [5]. إذ يلاحظ من الخريطة أدناه أن بلاد الشام وفيها القدس تقعان في وسط المنطقة المستهدفة بـ "التخريب" وتظهر الأكناف المباركة لتشمل بالإضافة لهما مناطق الصراع الواقعة شمال الجزيرة العربية ،

## د . أكرم حجازي

وتركيا ومصر والعراق وحواف الشمال الغربي لإيران وأقصى حواف الشمال الشرقي للسودان وحواف من الشمال الشرقي لليبيا وقبرص وبحر إيجه وأطراف من جنوب أوروبا ونحو ثلثي البحر الأبيض المتوسط. ومن الواضح أن منطقة الحشد والرباط في بلاد الشام تقع في قلب منطقة الصراع التي تبدو أوسع منها مما يعني أن المواجهة القادمة بين التيار الجهادي السلفي ونموذجه القاعدة سيغال دولاً وشعوباً لطالما اعتبرت نفسها بعيدة عن ساحة الصراع المباشر أو أنها اكتفت بمواقف سياسية أو أيديولوجية أو تقدم دعم مالي . والتفكير في مثل هذا الأمر سيعني قطعاً توريط وجر الكثير من القوى والشعوب والدول إلى ساحة الصراع بطريقة تؤدي فعلاً إلى إيقاع "تخريب" فعلي يصعب السيطرة عليه.

الشكل (١) : خريطة حولية الصراع وفق المحتوى الديني



تبقى اليمن بطبيعة الحال كأرض مباركة وأحد الأجناد الثلاثة، ولكنها غابت عن محتويات الوثيقة ووقعت خارج حولية الصراع بالرغم من حضورها الكثيف جداً في الأدبيات النظرية والميدانية للقاعدة ولا ندرى حقيقة سبباً لذلك . فقد بذل أسامة بن لادن جهوداً جبارة لإطلاق شرارة المواجهة في اليمن ضد السلطة الشيوعية في الشطر الجنوبي قبل الوحدة وبعدها ضد السلطة المركزية بقيادة علي عبد الله صالح . وكانت أبرز المحاولات تلك التي تزعمها أبو الحسن المحضار سنة 1998 في قيادته لجيش عدن أبين تيمناً بالحديث النبوي الشريف عن ابن عباس قال قال رسول الله : " يخرج من عدن اثنا عشر ألفاً ينصرون الله ورسوله هم خير من بيني وبينهم " . إلا أن جهود الرجلين فشلت وانتهت تجربة المحضار بإعدامه صيف العام 2000.

غير أن ما لم تُفصّل به الوثيقة ، والتي لم تتعرض في واقع الأمر لكل بلد بعينه ، خص له أبو مصعب السوري عشرات الصفحات التي تخص أهل اليمن تحديداً والمطلوب منهم لنصرة المقدسات الإسلامية ، واقترح معادلة زحف ميداني متكامل فيه جهود القوى بين أهل الشام وأهل اليمن فقال مخاطباً:

" عليكم أهل اليمن المباركة أن تيمموا وجوههم شطر مكة فالمدينة فالقدس ، كما أن علينا أهل الشام المباركة أن نيمم وجوهنا شطر القدس فالمدينة فمكة ، ولتلتق في ساحة الميدان رايات أهل الجهاد العازمين الثابتين والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون" [6].

من الواضح أن السوري كمؤصل للعقيدة القتالية للتيار الجهادي لم يفته التذكير بأن اليمن المباركة تمثل بالنسبة للجزيرة العربية المخزن البشري الهائل والجغرافيا المواتية لانطلاقة جهادية ، والأهم من ذلك أنها نقطة انطلاق مركزية في دفع الصائل عن بلاد المسلمين مثلما هي الشام بالضبط فعلى كليهما إذن تقع مسؤولية النصر و المدد والمبادرة . فحين تكون المبادرة بيد أهل الشام يكون الزحف باتجاه القدس أولاً ثم المدينة حيث تجمع الأنصار ثم "الفتح الجديد" لمكة ، وحين تكون المبادرة بيد أهل اليمن يكون الزحف باتجاه مكة أولاً ثم المدينة حيث الأنصار ثم الزحف نحو القدس .

### (٢) حقيقة القاعدة في فلسطين ؟

لقد قتل الزرقاوي أخيراً ، وهذه حقيقة ، فالرجل نال ما سعى إليه . بيد أن الافتراض بأن مقتل الزرقاوي أو الظواهري أو حتى بن لادن أو اعتقال هذا القائد أو ذاك ، أو غياب أحد الفاعلين في التنظيم سيعيق مشروع القاعدة هو افتراض خاطئ ، ولم تقل به حتى الولايات المتحدة ذاتها. فالقاعدة تنظيم يقع خارج الذاتية وخارج المؤسسة ، ولأنه بات فكرة أكثر منه تنظيمياً فلم تعد الفكرة ملكاً لأحد ولا حتى للتسمية بقدر ما هي ملك لكل من يؤمن بها ويعمل عليها فضلاً عن كونها أحد مناهج التغيير الاجتماعي في الأمة لدى شرائح واسعة وهو أمر من قبيل الواقع بحيث لم يعد ممكناً تجاهله أو الاستخفاف به أو ترحيله إلى مصنفات الجهل والضلال أو الأيديولوجيا و المباحكات السياسية .

### والسؤال هو: هل القاعدة في فلسطين حقيقة؟

ثمة فرضيتين مبدئيتين للإجابة على السؤال ، إحداهما تؤكد والأخرى تنفي. ولأنه ليس لدينا ما يؤكد أو ينفي سنلجأ إلى تحري المسألة ومن ثم مناقشتها.

فمنذ نحو سنتين أو أقل تتناقل وسائل الإعلام بين الفينة والأخرى تصريحات لمسؤولين إسرائيليين يتحدثون فيها عن اختراق حقيقته القاعدة في فلسطين وتحديدًا في المناطق الجنوبية من قطاع غزة وخاصة منطقتي رفح و خان يونس . وقد أخذت هذه التصريحات والمقالات [7] تزداد ضراوة مع خروج القوات الإسرائيلية من غزة بشكل مفاجئ وغداة تسلم السلطة الفلسطينية للمعابر على قطاع غزة حيث حدث نوع من الفوضى تسببت بتداخل سكاني يقدر بالآلاف على جانبي المعابر الحدودية بين مصر وغزة ، وقيل بعدها أن بعض العناصر من القاعدة تسربت أو ربما تكون قد تسربت إلى القطاع قادمة من سيناء . ثم وبعد تفجيرات وقعت في بعض الأماكن السياحية في منتجع دهب

المصري أعلن مسؤولون مصريون أن أحد المنفذين أو أكثر تلقى تدريبات في غزة دون أن يحدد هويته أو الجهة التي تلقى عندها التدريب وتنعّم بحمايته .

لا شك أن مثل هذه التصريحات أثارت الطرف الفلسطيني وأطراف المقاومة التي شعرت وكأنها مستهدفة بشكل مباشر لاسيما وأن الشعب الفلسطيني يعيش حالة من الحصار الشامل والذي تشارك به دول عربية بصفة مباشرة أو غير مباشرة . لذا ما زالت تتبلور قناعات لدى عامة الناس أن المقصود بهذه التلفيقات هو سلاح المقاومة أيا كان حامله وأيا كان التنظيم التابع له ، وأن مؤامرة تدبر ضد الفلسطينيين لوصمهم بالإرهاب وتجنيد الرأي العام العالمي ضدهم كي لا يأسف عليهم أحد إذا ما أوغلت فيهم إسرائيل قتلاً وتدميراً وتصفية ، وقررت وبعض القوى الفلسطينية والعربية التخلص من المقاومة كبنية وكفلسفة وتمير مشروع حل يهدئ من غليان المنطقة ولو لأمد منظور . لذا ينكر بعض الفلسطينيين أي تواجد للقاعدة، ويظهرون مشاعر قلق بالغة لديهم من قادم الأيام .

ولكن ثمة فرضية أخرى أشد خطورة تقف على النقيض مما ذكر . فالمعلومات تشير إلى أن الرئيس الفلسطيني محمود عباس تلقى تقريراً من أحد كبار ضباط أمنه كشف فيه عن وجود فعلي لخلية من القاعدة ترتبط بخلية في أستراليا ولا يتجاوز عدد أفرادها أصابع اليدين . وأن هذه المعلومات هي التي دفعت الرئيس إلى التحذير من وصول القاعدة إلى فلسطين ، وأن مثل هذا الأمر إن حدث سوف يؤدي إلى تخريب المنطقة .

والملاحظ أن التصريح ينطوي إما على مبالغة في تقدير المخاطر من قبل أجهزة الأمن الفلسطينية ، وإما حقيقة يخشى من نتائجها . فما هي المشكلة؟

المشكلة الأولى تبدأ من لحظة انهيار الاتحاد السوفييتي مطلع التسعينات من القرن الماضي ، حيث بات مخزون الأسلحة التكتيكية الفتاكة في مهب الريح ، وأن السوق السوداء التي انتعشت آنذاك يخشى أن يكون للقاعدة فيها موطئ قدم . وقد عبرت العديد من القوى العالمية آنذاك عن خشيتها من وصول أسلحة دمار شامل لأيدي الجماعات الإرهابية والمتطرفة وبالتأكيد من بينها القاعدة .

أما المشكلة الثانية فتبدأ من عند القاعدة ذاتها التي ربما تكون وضعت في خططها إنتاج أسلحة بيولوجية أو كيميائية ولو بدائية ، وهو ما شاع إبان الهجوم الأمريكي على مدينة الفلوجة العراقية وما تبعها من تهديدات نسبت إلى القاعدة باستخدام أسلحة كيميائية لتحقيق ردع ضد القوات الأمريكية والحليفة لها رداً على حملات الإبادة التي تتعرض لها . ولكن لا القاعدة نفذت تهديدها ولا القوات الأمريكية أعلنت عن تعرضها لأسلحة فتاكة بل على العكس فالقوات المهاجمة هي من استعملت الأسلحة الكيميائية مثل الفوسفور الأبيض .

وعلى الرغم من أن المشكلتين تقعان في صلب الاحتمالات إلا أن الخطر قائم . ففي البيان الصحفي الذي أعلنه أبو مصعب السوري قبيل اعتقاله رداً على اتهامه بأنه أحد مخططي هجمات سبتمبر ولندن ومدريد وما إلى ذلك من

اتهامات شدد السوري على براءته منها رغم إشادته بها ، بل وتمنى لو أن هجمات سبتمبر تضمنت أسلحة دمار شامل لإيقاع أكبر الخسائر في الجانب الأمريكي [8]. ولا شك أن الأمنية تبقى أمنية ، ولكن السوري لم يكن مجرد مؤرخ أو محلل أو كاتب بقدر ما كان مدرباً ومشرعاً ومخططاً ومحرضاً. ولا أحد يعرف حتى اللحظة ما الذي خلفه هذا الرجل وراءه [9].

رب سائل يسأل: ما الذي يعيننا من هذا الكلام؟

نقول الكثير. فهو يعني بتعبير الرئيس الفلسطيني "تخريب المنطقة". وقد كنا طرحنا سؤالاً منكرًا فيما سبق لما قلنا: ما الذي يمكن أن تفعله القاعدة في فلسطين ضد إسرائيل ولم تفعله الأجنحة العسكرية المختلفة على امتداد عقود؟ وكيف للقاعدة أن تتواجد في منطقة تشهد زحاما في البنادق قاربت على الفتك بنفسها؟ نتساءل ونحن نعتقد بأن حملة اعتقال إسرائيلية عشوائية واحدة قد تكسر كل مخططات القاعدة ، فلماذا تغامر بتواجد غير مأمون إن لم يكن بمقتل؟

والجواب هو أن تلجأ إلى ما هو غير مألوف أو متوقع بحيث يؤدي تدخلها إلى حدوث فارق مميز في المواجهة مع إسرائيل. هكذا يمكن أن يتقبلها المجتمع الفلسطيني المتعطش للخلاص بنفس القدر الذي يتعطش فيه للثأر وحتى تنظيماته المسلحة قد ترغم على تقبلها دون حساسية كبيرة مثلما أرغمت المنظمات الفدائية من قبل على تقبل حركة حماس والجهاد الإسلامي و لجان المقاومة الشعبية . فإذا كانت المنظمات الفدائية والجماعات الإسلامية قد استعملت أسلوب الهجمات الخاطفة على المعسكرات والجنود والمستوطنات أو أسلوب السكاكين ومن ثم الحجارة والعمليات الاستشهادية والعبوات الناسفة والقاذفات المضادة للدروع مخلقة في أفضل الأحوال خسائر بشرية لا تتعدى بضعة أفراد وبضعة أضعاف من الجرحى فلا يعتقدن أحد أن القاعدة ستحضر إلى فلسطين لتلقي الحجارة على بني صهيون أو تتباهى باستعراضات الأسلحة والقوة هنا وهناك لتحقيق مكسباً سياسياً أو مجدداً سافراً .

فنحن لن نواجه تنظيماً استعراضياً بقدر ما هو تنظيم يؤمن بأنه يمارس عبادة يتقرب بها إلى الله ، ولا نستبعد في مثل هذه الحالة أن يلجأ إلى التمييز باستخدام وسائل قتالية ذات تدمير عالي أو على الأقل إيقاع خسائر بشرية جسيمة قد تفقد إسرائيل صوابها فعلاً كما حصل مع الولايات المتحدة . هنا بالضبط مكنم الخطر حيث ستكون المنطقة في فوضى عارمة لا أحد يمكن أن يتكهن بمدى التخريب الذي قد يلحق بها. ولكن متى؟ سؤال يستحق التوقف عنده.



بطبيعة الحال ليست لدينا سوى مؤشرات توفرها لنا استراتيجيتها ذات البعد الديني ووثيقة استراتيجيا القاعدة التي أشرنا إليها والوقائع على الأرض. وهذه الأخيرة تؤشر على أن القاعدة ربما تكون فعلاً قد قامت باستطلاعات لفلسطين وهو أمر غير مؤكد بما أن ما أعلن عن وجود معتقلين هي مجرد شكوك بأهم متحمسون أو مناصرون لفكر القاعدة وهذه ليست تهمة بما أن الكثير من الناس تعتريه عواطف جياشة ما أن يسمع بخبر لعملية ناجحة نفذتها القاعدة هنا أو هناك ، كما أن تهمة من هذا النوع قائمة على المناصرة ليست بذات جدوى على اعتبار أن المتهمين ليسوا في واقع الأمر منتمين ولا فاعلين ولا عضوين وبالتالي فما من معلومات متوفرة يمكن أن يسترشد بها الباحث.

### لكن ملاحظة :

- سلسلة من الهجمات تضرب منتجعات سياحية بعضها يؤمه السياح اليهود في سيناء ورباط بسلسلة جبال وعرة تقول المصادر عنها: " أن ما يقارب 20% من مساحة 61 ألف كيلو متر مربع من سيناء , من الممكن اعتبارها بمثابة قلعة حصينة للحركة الجهادية العالمية. ويذكر هنا على وجه الخصوص . المناطق الشمالية, تلك المحيطة بالجبال المغلقة, التي يتعذر الوصول إليها , ومنها جبل هلال , بحيث تكون خارج سيطرة قوات الأمن المصرية, التي فقدت العديد من الضباط والجنود في الصدمات التي وقعت في الخريف الماضي وما بعد [10]";
- وهجمات أخرى في قلب العاصمة الأردنية، وأخرى تنطلق من أقصى الجنوب على حافة التماس مع إسرائيل.
- وهجمات سريعة ومفاجئة في سوريا.
- وحشد ورباط في جنوب لبنان وفي منطقة النبطية على مقربة من إصبع الجليل شمالي فلسطين .
- وحرب مستعرة أوارها منذ ما يزيد عن ثلاث سنوات في العراق .
- وتقدم هجومي ملحوظ لطالبان والقاعدة في أفغانستان وسط تأييد شعبي .
- وانضمام حكمتيار إلى القاعدة وطالبان كخصم عنيد وصاحب بنية تنظيمية و تسليحية وتدريبية و استخبارية ممتازة ورثها عن حرب تحرير أفغانستان .
- كل هذا يجعل المرء يستنتج بسهولة أن مد تنظيم القاعدة المتصاعد ، وهو يضع فلسطين نصب العين والدين يؤشر بداية على سعي فعلي نحو بلاد الشام أو ما يعرف بدول الطوق تاريخياً أملاً :
- إما بتحقيق احتلالات أمريكية أو إسرائيلية جديدة تقلب كل الموازين والأوضاع وتصب في صالح استراتيجيتها الباحثة عن توسيع ساحة المواجهة .
- وإما بإضعاف الحكومات وتحقيق اختراقات تنظيمية واسعة، وانتشار على مستوى الجمهور كمقدمة للتوجه نحو فلسطين .

وفي كلتي الحالتين ثمة شعور بتحريك ما يجري على قدم وساق في المنطقة ، ومن المستحسن أن نفهم تصريح الرئيس الفلسطيني باعتباره صحيحة تحذير وليس واقع فقط ، فمن المألوف عن عمل القاعدة أنها تتمتع بتخطيط وإعداد صارمين وسرية عالية قبل الإقدام على خطوة فاشلة قد تفقدها أكثر مما تربحها .

### في خلاصة سريعة يمكن القول في نقطتين مركزيتين :

- إن تنظيم القاعدة بات تنظيماً فريداً في الساحة العالمية ، لا يزال يظهر بمظهر المدافع عن الإسلام والساعي إلى نصره الدين والأمة وإحقاق العدل . أما فرادته عن باقي التنظيمات الجهادية فتكمن في كونه الجماعة الإسلامية المسلحة الأولى ، بعد انهيار الخلافة وتقسيم الوطن العربي ، التي جاهرت بعملها وأهدافها لتبلغ ديار الإسلام ومصالح الأمة الإسلامية وليس حدود القطر أو مصالح الشعب .
- هذه الخصيصة للقاعدة كمجموعة تنظيمات أو تيارات أو خلايا ذات أفكار مماثلة جذبت إليها الكثير من الشرائح الاجتماعية لها ، على اختلاف مستوياتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، وفي مختلف أنحاء العالم الإسلامي لاسيما تلك الجماعات التي تشعر منذ زمن أنها تتعرض لخدعة تتعاضم يوماً بعد يوم في ساستها وقادتها ودينها ورموزها وأوطانها وحقوقها وكرامتها وأقدس مقدساتها ولم يتبق لها ما تراهن عليه ولا ما تحسره .
- أن القاعدة حاضرة على مستوى الفكر والتأييد والتعاطف والحماس في أوساط الشعب الفلسطيني لاسيما في الضفة الغربية وغزة ، وهذا يعني أنها قاب قوسين أو أدنى من الحضور التنظيمي خاصة وأن الساحة تعج بثقافة جهادية عريقة ورفيعة المستوى ولا بد لها من موقف في ساعة الحسم . كما أن الساحة مثقلة بالهزائم والضغوط رغم أنها تعج بالكفاءات والخبراء في التصنيع العسكري للأسلحة والمتفجرات بطريقة لم يسبق أن عهدها الفلسطينيون ولم تعد خافية على أحد ولا صعبة الوصول إليها وهو ما تحتاجه القاعدة ويسهل عملها فضلاً عن توفر خبراء في الإنترنت والرصد والمتابعة والترجمة يمكن ملاحظتهم في المنتديات وهم يبعثون برسائل تعاطف للقاعدة [11].
- ومن الواضح أن مثل هذه البيئة كافية ، في المرحلة الأولى ، لإحداث تعاون غير مباشر مع القاعدة أو تماهي مع أفكارها وطريقة العمل ، ويستحضرنا في هذا السياق العملية النوعية التي نفذتها ثلاثة أجنحة مسلحة ضد قاعدة حربية إسرائيلية (2006/6/25) كان "جيش الإسلام" أبرزها وهي تسمية غير مألوفة ولا معروفة وذات مغزى، وفي غضون ذلك ليس من المستبعد أن تلجأ القاعدة إلى تنفيذ هجمات ضد إسرائيل انطلاقاً من محيط فلسطين أو ضد المصالح الإسرائيلية واليهودية في العالم .

## المراجع والإحالات

### مراجع وإحالات الحلقة الأولى :

[1] لاحظ الجابري في وضعية انتشار الإسلام في الجزيرة بعد فتح مكة، أن القبائل العربية أخذت في التوافد على مكة لمبايعة الرسول على الدخول في الإسلام تحت ضغط الفتح، ما يعني أن الإسلام لم يكن لدى القبائل المبايعة على أساس من التعلم والتفقه بالدين بقدر ما كان على أساس المبايعة، مما أفقدهم بالحصول لأصول الدين فخلطوا الشرك بالتوحيد مع مرور الزمن. قارن مع: محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي: محدداته وتحليلاته، المركز الثقافي العربي، ط2- 1991، بيروت- لبنان، ص150-151.

[2] ثمة انتقادات منهجية متعددة لكتاب التوحيد، منها ما يراه د. محمد المسعري في أن المشكلة تكمن في تعريف التوحيد و نواقضه عند محمد بن عبد الوهاب مما يسقط البناء برمته. مقابلة صوتية مع إذاعة التجديد بعنوان: "تساؤلات منهجية حول الدعوة الوهابية"، على موقع التجديد في الشبكة: <https://www.tajdeed.org.uk/sound/list.do?cid=20>

[3] راجع العميد د. محمد بن صنيتان، الوهابية .. دعوة سلفية، مجلة الحرس الوطني السعودية،

العدد 244، 2000/10/1. على موقع المجلة في الشبكة: <http://haras.naseej.com/Detail.asp?InNewsItemID=93050>

[4] د. أحمد فريد السكندري، السلفية قواعد وأصول، 1426/8/25، بحث من 30 صفحة على موقع شبكة صيد الفوائد: <http://www.saaaid.net/book/7/1135.doc>، وفي سلسلة لقاءات بتاريخ 26 ربيع الأول 1421هـ مع الشيخ عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري، المدرس بالجامعة الإسلامية سابقاً بعنوان: "أصول وقواعد في المنهج السلفي- الجزء الأول"، حيث يشير إلى أن مفهوم أهل السلف: " لا ينصرف إلا إلى القرون الثلاثة المفضَّلة؛ وهم: أصحاب النبي ، ثم التابعون، ثم أتباع التابعين"، ص3. على موقع شبكة صحاب: <http://www.sahab.net/sahab/showthread.php?threadid=305314>

[5] اليكسي فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، شركة المطبوعات، بيروت - لبنان، ط2- 2000، الفصل الثاني- ص1. كتاب رقم 77 على موقع مكتبة الحرمين على الشبكة: <http://www.alhramain.com/text/kotob/Acrobat/77/f.htm>

[6] راجع العميد د. محمد بن صنيتان، مرجع سابق.

[7] نفس المرجع.

[8] للمقارنة والمراجعة في، نفس المرجع.

[9] محمد بن شاكر الشريف، السلفية: المفهوم والتحديات، مجلة البيان السعودية، على موقع الشبكة: <http://www.albayan-magazine.com/bayan-221/salafya/index.htm>.

وكذلك يمكن العودة إلى المفكر الفرنسي "أوليفيه روا" في مقالته بعنوان "وهم العودة إلى الجذور: نقد الإسلام الحرفي"، حيث يقدم السلفية بوصفها: "... ليس حركة منظمة بل رؤية للإسلام تعطي الأولوية إلى قراءة حرفية وصارمة للقرآن وتتخذ موقفا نقديا من التاريخ الإسلامي نفسه الذي تلا المجتمع المثالي في زمن الرسول والصحابة". موقع "جدل" على الشبكة: <http://www.jadal.org/?p=205>.

[10] مقابلة مع نواف القديمي أحد الناشطين في التيار أجراها موقع إخوان أون لاين على الشبكة بتاريخ 2004/02/28، <http://ikhwanonline.net/Article.asp?ID=5079&SectionID=202>.

[11] في سؤال وجهه له الصحفي تيسير علوي خلال مقابلة أجراها معه في أفغانستان في أكتوبر عام 2001 ولم تنشرها قناة الجزيرة نفى أسامة بن لادن تهمة تكفير الناس إلا ما تعلق "بارتكاب ناقض من نواقض الإيمان المعلومة من الدين بالضرورة أو جاهر به أو أنكره"، وكذا قال أيمن الظواهري الرجل الثاني في تنظيم القاعدة. كما اختلف أحد أكبر منظري التيار الجهادي العالمي أبو محمد المقدسي مع أبو مصعب الزرقاوي في تكفيره للطائفة الشيعية (مقابلة المقدسي مع ياسر أبو هلاله) مدير مكتب الجزيرة في الأردن في 2005/7/5، ومن الطريف أن الزرقاوي تجنب التكفير بعد ذلك وهو ما أكده الشريط المرئي له قبل اغتياله (راجع قرائتنا لشريط الزرقاوي بعنوان: "قراءة في الظهور المفاجئ للزرقاوي، صحيفة الحقائق الدولية في لندن بتاريخ 2006/3/5) ومجلة العصر الإلكترونية، ومن جهته حدد أبو مصعب السوري في أحدث دراسات له ضوابط التكفير لدينا في الوقت نفسه ما يسميه بأفة التكفير التي ضربت التيار الجهادي وآذته في العمق. راجع: أبو مصعب السوري: مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر 1996-1998، 2004/6/1، وكذلك: أبو مصعب السوري (عمر عبد الحكيم)، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، طبعة ذي القعدة 1425هـ/ ديسمبر 2004م. وسنعمد بعد هذه الحاشية اسم "أبو مصعب السوري" للدلالة على المرجع الثاني فقط مع الالتزام بذكر باقي مؤلفات الكاتب حيثما ترد.

[11] نفس المرجع، ص 708.

[12] تقرير مجموعة الأزمات الدولية (International Crisis Group) بعنوان "تفهم التيار الإسلامي"، القاهرة - بروكسل، 2 آذار 2005. في موقع المجموعة على الشبكة:

<http://www.crisisgroup.org/home/index.cfm?id=3300&l=6>، وكذلك وتقارير مؤسسة راند

"Rand Corporation" الأمريكية خلال الفترة بين 2003 - ربيع 2004 بخصوص الديمقراطية والإصلاح الإسلامي. على موقع جامعة الدول العربية.

[http://www.arableagueonline.org/las/arabic/details\\_ar.jsp?art\\_id=3672&level\\_id=696](http://www.arableagueonline.org/las/arabic/details_ar.jsp?art_id=3672&level_id=696)

[13] باسل الكبيسي، حول حركة القوميين العرب، مطبعة الناصر، القدس، 1974، ص21.

[14] أبو مصعب السوري، مرجع سابق، ص698.

[15] نفس المرجع، ص708.

### مراجع وإحالات الحلقة الثانية :

[1] ولإلنصاف فإن ما ذكر ينطبق حتى على الجماعات الإسلامية الجهادية والدعوية والسلمية وليس فقط على التنظيمات العلمانية. فهؤلاء يعيرون على الجماعات الوطنية العلمانية مثلاً بأنهم يقاتلون في سبيل الطواغيت وليس في سبيل الله.

[2] أسامة مناصفي، السلفية الجهادية: بدايات ومآلات (3-10)، بحث خاص بموقع "إنباء" الإخباري <http://www.inbaa.com/modules.php?name=Content&pa=showpage&pid=60>، 2004/12/31. ويقدم كتاب

"عبدالله عزام المعنون بـ "آيات الرحمن في جهاد الأفغان" أفضل وصف لبلاد واعدة لإقامة الدولة الإسلامية فيها. [3] كلمة حكمتيار المصورة باللغة العربية، والتي بثتها قناة الجزيرة بتاريخ 2006/5/4. ويعلق الصحفي أحمد موفق زيدان بأن: " دخول حكمتيار على خط المواجهة مع الغرب وتحديدا استعداده للقتال إلى جانب ابن لادن والظواهري ضد القوات الأميركية يشير إلى أن معركة حكمتيار ليست مع القوات الأميركية في أفغانستان فحسب، وهذه أول ممارسة عملية لزعيم أفغاني تجاه الأحداث العالمية، فقد آثر زعماء الحرب الأفغانية في السابق حصر أنفسهم ومواجهتهم في داخل أفغانستان مبتعدين عن الأحداث العالمية باستثناء الدعم والمساندة الكلامية والخطابية". بلوج الصحفي:

<http://www.maktoobblog.com/ahmedzaidan?post=35031>

[4] أبو مصعب السوري، مرجع سابق، ص964. وللأهمية نثبت النص التالي فيما يتعلق بعقيدة الولاء والبراء وأسس التمايز: " بصرف النظر عن أجناس البشر وألوانهم، واختلاف لغاتهم وشعوبهم، وغناهم وفقيرهم، أو أي اعتبار آخر. فقد اعتبرت الشريعة لهم نسبتان فقط هما: مؤمن وكافر. كما قررت أن الكفار على اختلاف مذاهب كفرهم، وأجناسهم، وشعوبهم، ولغاتهم ملة واحدة. وبهذا الوضوح تقرر أن أهل التكليف إنسهم وجنهم في هذه الأرض أمتان: أهل الإيمان وأهل الكفر. وقال عز وجل: [ وإن هذه أمتكم أمة واحدة- المؤمنون، 52]. وقررت بينهم رابطة الولاء وواجباتها. وقررت أن التفاضل بينهم على أساس التقوى. كما قررت أن الكفار على اختلاف مذاهب كفرهم، وأجناسهم، وشعوبهم، ولغاتهم (ملة واحدة) ... ولم تقم أمام عقيدة الولاء والبراء ولم تعتبر أي رابطة أخرى..

حتى ولا أشد أو أصر القربى". ولعله الوحيد الذي لاحظ: " أن الحركة الإسلامية الجديدة لا تقرّ بالتمايز الطبقي في المجتمع، بل أنها تتعدى الطبقات وتحتويها كلها في الوقت نفسه، على عكس الإيديولوجيات والأنظمة الفكرية التي تصور المجتمع، والتي ظهرت ابتداء من القرن التاسع عشر ممثلة المجتمع على أنه قائم على وجود طبقات اجتماعية وجماعات ومصالح... الخ... وتصورها للواقع الاجتماعي ينطلق من رفض مبدئي للتمييز بين الاجتماعي كعنصر حاسم في التحليل. فحركة الأصوليين تنظر إلى المجتمع على أنه كيان توحيده العقيدة، وليس كيانا تربطه مجرد مصالح عملية وعلاقات إنسانية سطحية. علي الكتر: الإسلام والهوية - ملاحظات للبحث، ندوة الدين في المجتمع العربي، 1990، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ص 92.

[5] المقصود قضيتي الجهاد والحاكمة.

[6] هيرمان فريدريك ايليتس، "الأصولية الإسلامية: بحث عن نظام جديد"، دراسة مترجمة عن مجلة "ميديترايان كوارتلي، العدد الرابع - المجلد الأول. وباللغة الإنجليزية: Herman F. Elits-(Islamic Fundamentalism Aquest A New Order Mediterranean Quarterly, vol 1, No4, Fall 1990.

[7] أبو مصعب السوري، مرجع سابق، ص 791.

[8] أبو مصعب السوري، مرجع سابق، ص 896. واستشهد من المتطوعين العرب 1000 مقاتل من العدد الإجمالي خلال المرحلة الأولى من الجهاد الأفغاني.

[9] مقالة شائعة على الشبكة بعنوان "سيرة الشيخ أسامة بن لادن" ومجهولة المصدر.

#### مراجع وإحالات الحلقة الثالثة :

[1] وهو ما كشفه بصريح العبارة في مقابلة معه أجراها عبد الباري عطوان رئيس تحرير صحيفة القدس العربي الصادرة بلندن في تشرين الثاني (نوفمبر) عام 1996.

[2] أبو مصعب السوري، مرجع سابق، ص 726.

[3] نفس المرجع، ص 727.

[4] وردت على موقع قناة الجزيرة في "تغطيات 2001: حرب أمريكا"، ضمن مقالة بعنوان "الأفغان العرب ... تاريخ وواقع" الجماعات التالية: "جماعة الجهاد المصرية والجماعة الإسلامية المسلحة الجزائرية والجماعة الإسلامية المقاتلة الليبية. وهناك تنظيمات أخرى نشأت أيضا في أفغانستان أو باكستان ثم اندثر تمثل جماعة الخلافة وجماعة الفطرة". موقع القناة على الشبكة:

[http://www.aljazeera.net/special\\_coverages/war\\_against\\_terrorism/2001/10/10-25-1.htm](http://www.aljazeera.net/special_coverages/war_against_terrorism/2001/10/10-25-1.htm)

[5] أبو مصعب السوري، مرجع سابق، ص925، ومع ذلك سنستعمل تعبير تنظيم القاعدة إجرائيا على امتداد البحث.

[6] لأن أبي مصعب السوري لاحظ فشل التجارب السابقة للتيارات الجهادية لأسباب عديدة ومنها نخوية التنظيم وليس شعبيته نراه يكرر على امتداد صفحات مؤلفه القول: "نحتاج مقاومة تكون نهج ومعرفة أمة، وليست طريق وتوضيحات نخبة فقط".

[7] كنا قد اشرنا إلى مثل هذا الاحتمال في دراسة سابقة في ضوء الإعلان المفاجئ لكثائب القسام وغير المسبوق في تاريخ الحركات الفلسطينية المقاتلة عن أسماء قاداته العسكريين في قطاع غزة، حتى أن وسائل الإعلام تناقلت أخبارا عن انشقاق في الكثائب قاده محمد الضيف احتجاجا على قرار حركة حماس المشاركة في العملية السياسية. لمن يرغب بمزيد من الاطلاع يمكن مراجعة: دراسة لـ د. أكرم حجازي، "تأملات في الحالتين التنظيمية والسياسية لمن حركة حماس ما بعد غزة"، 2005/11/29 المنشورة في صحيفة الحقائق الدولية الصادرة في لندن، وعلى الشبكة الدولية:

k182 - [www.alhaqaeq.net/authors.asp?authorid=603](http://www.alhaqaeq.net/authors.asp?authorid=603)

[8] أبو مصعب السوري، مرجع سابق، ص114.

[9] لقد أيد الفلسطينيون العراق وليس صدام حسين تحديدا في احتلاله للكويت، اعتقادا منهم أن ساعة الخلاص قد حانت سواء سياسيا أو عسكريا، ولم يكن الفلسطينيون في يوم ما أعداء للكويتيين ولم يفكروا بذلك ولم يخطر على بالهم بوجود جدوى من نوع ما في مناصبة أي دولة خليجية أو شعب عربي العدا، وقد تطلع الفلسطينيون دوما إلى الإنصاف فركنوا إلى الحدث وليس إلى صانعيه، وهكذا فعلوا لما انطلقت حركة فتح حاملة شعار الكفاح المسلح وفلسطين طريق الوحدة حيث لم يكونوا آنذاك معنيين بهوية هذا الزعيم أو ذاك ولا حتى بقائد حركة فتح، وهكذا فعلوا لما ظهرت سرايا الجهاد الإسلامي وحركة الجهاد الإسلامي، بل نراهم هللوا لالتحاق الإخوان المسلمين الفلسطينيين ومنهم حركة حماس في ساحة المواجهة مع إسرائيل. هذا ليس دفاعا عن هذا الطرف ضد ذاك ولا تبرئة بل هي الحقيقة في أعرق تجلياتها.

[10] فيما يلي مقتطفات من نص المرحلة الأولى من الوثيقة:

" يرى مفكرو القاعدة، أن الأمة الإسلامية مرت بمرحلة سبات عميق لم يحدث مثله عبر تاريخها الطويل... لم تنجح معه وصفات وخطط البعث التي وضعت له سابقا، مما حدا بقيادة القاعدة وضع وصفة تقوم على فكرة تسديد ضربة قوية إلى رأس الأفعى المتتوية ليفقدوها رشدها، ويدفعها باتجاه ردود أفعال ارتجالية سريعة غير مدروسة بحق من ضربها... فكانت هجمات القاعدة في 11 أيلول... فكان إعلان بوش الابن أن حرب صليبية، ودعوته لقيام تحالف

دولي لمكافحة الإرهاب وحره والقضاء عليه. فبدأ بغزو أفغانستان ومن ثم العراق. وهذا من وجهة نظر قادة القاعدة نجح ... في خطتهم الهادفة إلى استدراج واشنطن ... و... أن استجابة الولايات المتحدة ... كان خطأ إستراتيجياً ... نجحت الوصفة، وبلغ الأمريكيون الطعام. بدأت هذه المرحلة - مرحلة الإفاقة- مع بداية الإعداد والتحضير لضربة 11 أيلول في بداية سنة 2000م وانتهت بدخول الأمريكان بغداد 2003/4/9... مما أدى إلى توسيع ساحة المعركة...". راجع نص الوثيقة في: - فؤاد حسين، الزرقاوي: الجيل الثاني للقاعدة، دار الخيال، ط1، 2005، بيروت- لبنان، ص 200-213. [11] في مقالة لأحد منظري القاعدة يتحدث بصراحة عن أن المعركة مع الولايات المتحدة هي معركة اقتصادية وليست عسكرية، فتراه يقول: " دخلت الأمة الإسلامية عبر معركة تنظيم القاعدة مع أمريكا مرحلة جديدة تختلف عن سابق المراحل التي خاضها المسلمون مع أعدائهم، وتقوم هذه المرحلة في أهم ركائزها على الحرب الاقتصادية نظراً لاختلاف الخصم في هذه الحرب الشرسة؛ فالمعتاد أن الحروب تقوم على القوة العسكرية والانتصار بيد الأقوى عسكرياً والمتغلب في ميدان المعركة. أما حربنا مع أمريكا فتختلف اختلافاً جذرياً حيث تعتمد في المقام الأول على هزيمتها اقتصادياً؛ فكل ما يؤثر في اقتصادهم سلباً يعتبر بالنسبة لنا تقدماً خطوة في طريق الانتصار، وليس للهزائم العسكرية ذلك التأثير في مقاييس الانتصار الكلي إلا بما تأتي به هذه الهزائم من تأثير على الاقتصاد بشكل غير مباشر يتمثل في اهتزاز ثقة الرؤوس الاقتصادية بقدره هذه الدولة على حماية تجارتهم وتداولاتهم المختلفة والمتنوعة، إلى جانب قيمة المنشآت أو الآليات المتأثرة في ميدان المعركة والتي لا تمثل في الحقيقة شيئاً يذكر. راجع: أبو مصعب النجدي، معركة القاعدة معركة اقتصادية لا عسكرية، الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية: سلسلة الكتابات والمقالات لأبي مصعب النجدي، جزيرة العرب 1426/8/29. على الشبكة: <http://www.al-hesbah.org/v/showthread.php?t=36599>

### مراجع وإحالات الحلقة الرابعة والأخيرة :

[1] الحديث المقصود هو ما رواه مسلم في صحيحه بسنده: ( عن أبي نضرة رضي الله عنه قال: كنا عند جابر بن عبد الله رضي عنه فقال: يوشك أهل العراق ألا يجي إليهم قفيز ولا درهم. قلنا: من أين ذلك؟ قال: العجم يمنعون ذلك. ثم قال: يوشك أهل الشام ألا يجي إليهم دينار ولا مدي. قلنا: من أين ذلك؟ قال: من قبل الروم؟ ثم سكت هنيهة، ثم قال: قال رسول الله: يكون في آخر أمي خليفة يحثي المال حثياً لا يعده عداء. قلت لأبي نضرة: أترى أنه عمر بن العزيز؟ قال: لا).

[2] ( وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ {60} - الأنفال).



[3] في هذا السياق يمكن مراجعة عبد القادر بن عبد العزيز، العمدة في إعداد العدة، 1999، دار البيارق، بيروت - لبنان. حيث يوافق المؤلف أطروحات الإعداد لدى القاعدة.

[4] نعي بلفظة "الحولية" منطقة "الكنف أو الأكناف"، أي المناطق التي تقع حول المسجد الأقصى، فالخط الواصل بين الحرم المكي والمسجد الأقصى هو خط الإسراء والمعراج بالرسول الكريم، فإذا انطلق الخط من القدس كمركز قادم للخلافة باتجاه مكة فإن المنطقة الواقعة داخل الدائرة هي منطقة الحولية أو ما نسميه بـ "حولية الصراع"، وهي ذات المنطقة التي نعتقد أنها المستهدفة من قبل القاعدة بحسب المحتوى الديني، وبالمصطلحات السياسية والاستراتيجية قلب منطقة الشرق الأوسط.

[5] المقصود ما رواه أحمد والبخاري عن النعمان بن بشير عن حذيفة: أن النبي قال: "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون ملكاً جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون خلافة على منهاج النبوة" ثم سكت. (أحمد في مسند النعمان بن بشير 273/4 من طريق الطيالسي، وأورده الهيثمي في المجمع 188/5، 189، وقال: رواه أحمد والبخاري أتم منه، والطبراني ببعضه في الأوسط ورجاله ثقات، وهو في منحة المعبود برقم 2593، وفي كشف الأستار عن زوائد البخاري برقم 1588، وصححه الحافظ العراقي في كتابه: محجة القرب إلى محبة العرب وذكره الألباني في: الصحيحة برقم 5).

[6] أبو مصعب السوري، مسؤولية أهل اليمن تجاه مقدسات المسلمين وثرواتهم، سلسلة قضايا الظاهرين على الحق (2)، مركز الغرباء للدراسات الإسلامية.

[7] من جهتها، نشرت صحيفة الحياة اللندنية بتاريخ 4 و 5/4/2006 مقالة على حلقتين للصحفي اللبناني حازم الأمين يتحدث فيهما عن احتمال توغل فعلي للقاعدة في الضفة الغربية وقطاع غزة.

[8] فيما يلي مقتطفات من دعوته لاستعمال أسلحة دمار شامل ضد الولايات المتحدة: "ولو استشرت في مثل هذه العملية [هجمات سبتمبر] لأشرت بأن تكون الطائرات من رحلات خارجية وأن تحمل أسلحة دمار شامل ... فقد كانت وما تزال عملية ضرب أمريكا بأسلحة الدمار الشامل أمراً معقداً صعباً، ولكنه يبقى ممكناً في نهاية الأمر إن يسر الله . وأهم من كونه ممكناً أنه أصبح ضرورياً ... وللخلاص مما يعتبره شرور أمريكا يقدم ثلاثة سيناريوهات أولها قارعة من عند الله تصيب أمريكا، وثانيها حرب عصابات طويلة المدى على امتداد العالم الإسلامي والاحتمال الأخير " تدمير أمريكا بعمليات الحسم الاستراتيجي بأسلحة الدمار الشامل النووية أو الكيماوية أو الجرثومية

البيولوجية. إن استطاع المجاهدون أن يحصلوا عليها بالتعاون مع من يملكها أو شرائها أو بتصنيع واستخدام القنابل الذرية البدائية , وهو ما يسمونه (القنابل القدرة) ". وردت في:

- بيان صادر عن مكتب الشيخ (أبو مصعب السوري) بتاريخ 2004/11/15، رداً على: " إعلان آدم إيرلي نائب المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية 2004/11/18م إصدار مذكرة بحث واعتقال بحقه، وموافقة وزير الخارجية كولن بول على تخصيص مبلغ خمسة ملايين دولار لمن يدلي بمعلومات عنه. ومن بين ما قاله إيرلي: " أن الشيخ درب الإرهابيين في مجال السموم والمواد الكيماوية ، وهو عضو في القاعدة ومدرب سابق في معسكرات (دورنتا) و(الغرباء) في أفغانستان".

[9] يذكر أن مصادر أمنية باكستانية كشفت في 31 أكتوبر/ تشرين أول 2005 عن اعتقال باكستان لأبي مصعب السوري بعد اشتباك مسلح في مدينة كويتا في إقليم بلوشستان ، ثم نفت الخبر الذي عادت وأكدته مصادر أمريكية في نهاية شهر نوفمبر/ تشرين الثاني 2005، وقد أهدمت باكستان على تسليمه إلى الولايات المتحدة في مطلع شهر أيار/ مايو 2006.

[10] بينو بونجورنو، هل تحولت سيناء إلى جبهة جديدة للجهاديين؟، المركز الدولي لدراسات أمريكا والغرب. على الشبكة: - 37k - 6849 [www.icaws.org/site/modules.php?name=News&file=article&sid=6849](http://www.icaws.org/site/modules.php?name=News&file=article&sid=6849)

[11] لا شك أن الولايات المتحدة تعرف بهذه الأمور، فقد اعترف إيريك كلارك المتحدث باسم القيادة المركزية للقوات الأميركية بأن تنظيم القاعدة انتصر في الحرب الإعلامية مع الولايات المتحدة، في إطار الحرب على الإرهاب، وأشار بأن القاعدة ومناصريها يستعملون في الوقت الراهن نحو 4 آلاف موقع الكتروني عبر الكرة الأرضية ، وخلص كلارك، في حوار مع العربية نت ، إلى أن الحد الأدنى من المهمة التي فعلتها القاعدة في حملة الاتصالات الإستراتيجية ، هو أفضل بكثير من التنسيق القائم بين الولايات المتحدة وقوات التحالف. 2006/03/11، على الشبكة: <http://www.alarabiya.net/Articles/2006/03/11/21855.htm>

## قائمة المصادر المراجع

- القرآن الكريم
- الحديث النبوي الشريف
- أبو مصعب السوري، بيان صادر عن مكتب الشيخ (أبو مصعب السوري)، 2004/11/15.
- أبو مصعب السوري (عمر عبد الحكيم) ، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، طبعة ذي القعدة 1425هـ / ديسمبر 2004 م .
- أبو مصعب السوري: (مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر 1996-1998)، 2004/6/1.
- أبو مصعب السوري ، مسؤولية أهل اليمن تجاه مقدسات المسلمين وثوراتهم ، سلسلة قضايا الظاهرين على الحق (2)، مركز الغرباء للدراسات الإسلامية .
- أبو مصعب الزرقاوي، شريط الفيديو المرئي الأول، 2006/4/25.
- أبو مصعب النجدي ، معركة القاعدة معركة اقتصادية لا عسكرية ، الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية: سلسلة الكتابات والمقالات لأبي مصعب النجدي ، جزيرة العرب <http://www.al-hesbah.org/v/showthread.php?t=36599> .1426/8/29
- د. أحمد فريد السكندري ، السلفية قواعد وأصول، 1426/8/25، بحث من 30 صفحة على موقع شبكة صيد الفوائد: <http://www.saaaid.net/book/7/1135.doc>.
- الصحفي أحمد موفق زيدان ، "هل بايع حكمتيار زعماء تنظيم القاعدة؟؟!!، بلوج: <http://www.maktoobblog.com/ahmedzaidan?post=35031>
- أسامة مناصفي ، السلفية الجهادية : بدايات و مآلات (3-10)، بحث خاص بموقع "إنباء" الإخباري، 2004/12/31، <http://www.inbaa.com/modules.php?name=Content&pa=showpage&pid=60>.
- الشيخ عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري ، "أصول وقواعد في المنهج السلفي- الجزء الأول، سلسلة لقاءات بتاريخ 26 ربيع الأول 1421هـ ، على موقع شبكة سحاب: <http://www.sahab.net/sahab/showthread.php?threadid=305314>
- العميد د. محمد بن صنيتان، الوهابية .. دعوة سلفية، مجلة الحرس الوطني السعودية ، العدد 244 2000/10/1 . على موقع المجلة في الشبكة: <http://haras.naseej.com/Detail.asp?InNewsItemID=93050>

- د. أكرم حجازي ، "تأملات في الحالتين التنظيمية والسياسية لحركة حماس ما بعد غزة" ، 2005/11/29 المنشورة في صحيفة الحقائق الدولية الصادرة في لندن، وعلى الشبكة الدولية: [www.alhaqaeq.net/authors.asp?authorid=603](http://www.alhaqaeq.net/authors.asp?authorid=603) - 182k
- د. أكرم حجازي ، " قراءة في الظهور المفاجئ للزرقاوي" ، صحيفة الحقائق الدولية في لندن بتاريخ 2006/3/5 ومجلة العصر الإلكترونية.
- اليكسي فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، شركة المطبوعات، بيروت - لبنان، ط2-2000. كتاب رقم 77 على موقع مكتبة الحرمين على الشبكة: <http://www.alhramain.com/text/kotob/Acrobat/77/f.htm>
- أوليفيه روا، "وهم العودة الى الجذور: نقد الإسلام الحرفي"، موقع "جدل" على الشبكة: <http://www.jadal.org/?p=205>
- باسل الكبيسي ، حول حركة القوميين العرب ، مطبعة الناصر ، لقدس، 1974.
- بينو بونجورنو، هل تحولت سيناء الى جبهة جديدة للجهاديين؟، المركز الدولي لدراسات أمريكا والغرب. على الشبكة: [www.icaws.org/site/modules.php?name=News&file=article&sid=6849](http://www.icaws.org/site/modules.php?name=News&file=article&sid=6849) - 37k
- تقرير مجموعة الأزمات الدولية (International Crisis Group) بعنوان "تفهم التيار الإسلامي" ، القاهرة - بروكسل، 2 آذار 2005. في موقع المجموعة على الشبكة: <http://www.crisisgroup.org/home/index.cfm?id=3300&l=6> ، وكذلك وتقارير مؤسسة راند "Rand Corporation" الأمريكية خلال الفترة بين 2003 - ربيع 2004 بخصوص الديمقراطية والإصلاح الإسلامي. على موقع الجامعة العربية.
- [http://www.arableagueonline.org/las/arabic/details\\_ar.jsp?art\\_id=3672&level\\_id=696](http://www.arableagueonline.org/las/arabic/details_ar.jsp?art_id=3672&level_id=696)
- مقابلة مصورة لتيسير علوي مراسل قناة الجزيرة مع أسامة بن لادن في أفغانستان في أكتوبر عام 2001.
- مقابلة لياسر أبو هلاله مدير مكتب قناة الجزيرة في الأردن مع لشيخ أبو محمد المقدسي في 2005/7/5.
- حازم الأمين، صحيفة الحياة اللندنية بتاريخ 4 و 2006/4/5.
- عبد الباري عطوان ، رئيس التحرير، مقابلة مع بن لادن ، صحيفة القدس العربي الصادرة في لندن، تشرين الثاني (نوفمبر) عام 1996.
- عبد الله عزام، "آيات الرحمن في جهاد الأفغان".
- عبد القادر بن عبد العزيز ، العمدة في إعداد العدة ، 1999 ، دار البيارق ، بيروت - لبنان .

## د . أكرم حجازي

- علي الكتر، الإسلام والهوية - ملاحظات للبحث، ندوة الدين في المجتمع العربي، 1990، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان.
- فؤاد حسين، الزرقاوي: الجيل الثاني للقاعدة، دار الخيال، ط1، 2005، بيروت لبنان.
- قلب الدين حكمتيار، كلمة مصورة باللغة العربية، والتي بثتها قناة الجزيرة بتاريخ 2006/5/4.
- محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته، المركز الثقافي العربي، ط2- 1991، بيروت- لبنان، ص150-151.
- محمد بن شاكر الشريف، السلفية: المفهوم والتحديات، مجلة البيان السعودية، على موقع الشبكة: <http://www.albayan-magazine.com/bayan-221/salafya/index.htm>.
- مقابلة صوتية مع إذاعة التجديد بعنوان: "تساؤلات منهجية حول الدعوة الوهابية" ، على موقع التجديد في الشبكة: <https://www.tajdeed.org.uk/sound/list.do?cid=20>.
- مقابلة مع نواف القديمي أحد الناشطين في التيار أجزاها موقع إخوان أون لاين على الشبكة بتاريخ 2004/02/28، <http://ikhwanonline.net/Article.asp?ID=5079&SectionID=202>.
- مقالة شائعة على الشبكة بعنوان " سيرة الشيخ أسامة بن لادن" ومجهولة المصدر.
- موقع قناة الجزيرة على الشبكة "تغطيات 2001: حرب أمريكا"، ضمن مقالة بعنوان "الأفغان العرب ... تاريخ وواقع: [http://www.aljazeera.net/special\\_coverages/war\\_against\\_terrorism/2001/10/10-25-1.htm](http://www.aljazeera.net/special_coverages/war_against_terrorism/2001/10/10-25-1.htm) .
- هيرمان فريدريك ايليتس ، "الأصولية الإسلامية: بحث عن نظام جديد"، دراسة مترجمة عن مجلة "ميديترايان كوارتلي، العدد الرابع - المجلد الأول. وباللغة الإنجليزية: Herman F.Elits-(Islamic Fundamentalism: Aquest A New Order Mediterranean Quartly, vol 1, No4, Fall 1990.